تدبّر القرآن الكريم

وصناعة الشخصية المسلمة

إعداد

الدكتور : فرج حمد سالم الرشيد الزبيدي

مساعد مدير المركز الثقافي الإسلامي

جامعة آل البيت/الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الطيبين، ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنته إلى يوم الدين. وبعد:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم بخاتمة الرسالات على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ليكون هادياً إلى الحقّ ومرشداً إلى الرشد لمن آمن به وسار على نهجه .

ولتفرّد القرآن الكريم عن ما سبقه من الكتب السماوية بعدّة ميزات، أهمها: أنّه عامٌ لجميع الناس، وأنّه الكتاب السماوي الخاتم الذي لا كتاب بعده إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، لذا؛ فقد أسند الله سبحانه وتعالى حفظَه إليه هو فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ چ الحجر: ٩. وفي هذا تطمينٌ للمؤمنين من أن يُصيب القرآن الكريم شيء مما أصاب الكتب السماوية السابقة، من ضياع أو تحريف أو نقص أو زيادة. وأنّ الله سوف ييسر حفظه في الصدور والسطور. وهذا التطمين المؤكد منه تعالى، فيه إشارة إلى أنّ مهمّة المؤمنين بالدرجة الأولى في التعامل مع القرآن الكريم وخاصة ذوي الألباب والمفكرين، هي قراءة القرآن الكريم قراءة تدبّرية لا حفظيّة فقط، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ ص: ٢٩

ذلك أنّ القراءة التدبريّة هي التي تنتج الفهم والعمل، وتجعل الأفعال مطابقة للأقوال، وبالتالي تساعد على بناء الشخصية الإسلاميّة المتميزة التي تقرأ القرآن بقصد فهم وتطبيق أوامره ونواهيه. فالأمة في هذا العصر لا تحتاج إلى نسخٍ مكررة من القرآن المقروء، بل تحتاج إلى نماذج حيّة من القرآن العملي التطبيقي، اقتداءً بمنهج من أُنزل عليه القرآن ﷺ الذي لخصته عائشة –رضي الله عنها– بقولها عندما سُئلت عن خُلقه ﷺ: **"كان خُلقه القرآن"**(١). والمقصود (بالخُلُق) هنا السلوك (العمل).

سبب اختيار الموضوع: نجد في هذه الأيام كثيراً من المسلمين الذين يحفظون القرآن ويحافظون على قراءته، لكنها قراءةً لا تورث لديهم التزاماً بأوامر القرآن ونواهيه وباقي أحكامه ومقاصده، مما أضعفَ أثرَ القرآن الكريم في بناء الشخصية الإسلامية لديهم. فأصبحنا نرى في مجتمعاتنا شخصيات متناقضة لديها انفصال بين الإيمان والعمل وبين الفكر والسلوك، فيرتكبون ما نهى عنه القرآن وحذَّر منه. وما ذلك إلا

---

(١) مسند أحمد بن حنبل، حديث رقم: ٢٤٦٤٥.

لأنّهم قرأوا القرآن بقصد القراءة فقط، لا بقصد التدبّر لمعانيه وأحكامه ومقاصده. لذا؛ جاءت هذه الدراسة الموسومة بـ (**تدبّر القرآن الكريم وصناعة الشخصيّة المسلمة**)؛ لتلقي الضوء على أهمية تدبّر القرآن الكريم وبيان أثره في صناعة الشخصية المسلمة.

أهمية الدراسة وأهدافها: تكمن أهمية الدراسة كونها تلقي الضوء على جانبٍ مهم ورئيس من جوانب صناعة الشخصية المسلمة، حيث غاب هذا الجانب عن كثير من مسلمي هذا العصر، ألا وهو استثمار تدبّر الآيات القرآنية في بناء المقومات الفكريّة والسلوكيّة للشخصية المسلمة، وبالتالي تحقيق الربط بين الفكر والسلوك وبين الإيمان والعمل الصالح في الشخصيّة المسلمة.

إشكاليّة الدراسة: يمكن صياغة إشكالية الدراسة بالأسئلة التالية:

١. ما مفهوم مصطلح (تدبّر القرآن الكريم). وما المقصود بمصطلح (صناعة الشخصيّة المسلمة)؟

٢. ما مقومات الشخصية؟ وما أثر تدبّر القرآن الكريم في صناعة مقومات الشخصيّة المسلمة؟

٣. ما المنهج الذي أرشد إليه القرآن لبناء الشخصية المسلمة من خلال الربط بين مقوماتها؟

خطّة الدراسة: بُنيت خطّة الدراسة على مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدّمة: تمّ خلالها بيان تكفُل الله تعالى بحفظ القرآن كونه خاتم الرسالات وللعالمين كافّة، وبيان حاجة الأمّة لمعرفة أهميّة قراءة القرآن الكريم قراءة تدبريّة تفضي إلى فهم معانيه وتطبيق مقاصده. وبيّنت أسباب اختيار الموضوع، وأهميته وأهدافه، وإشكاليّة الدراسة، وخطّتها.

المبحث الأول: تحدّث في مطلبين حول مفاهيم ألفاظ ومصطلحات عنوان الدراسة. وتطرّق لتحديد مقومات الشخصيّة المسلمة من خلال تدبّر القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تناول في ثلاثة مطالب أثر تدبّر القرآن الكريم في بناء المقوم الفكري في الشخصيّة المسلمة. وتوضيح مفهوم التفكّر والتعقّل والعلاقة بينهما، وبيان عناصر عملية التفكير ومجالاته، وإبراز دور العقيدة الإسلاميّة في بناء المقوّم الفكري في الشخصيّة المسلمة.

المبحث الثالث: تناول في مطلبين أثر تدبّر القرآن الكريم في بناء المقوم السلوكي في الشخصيّة المسلمة. فتحدّث عن تفسير السلوك من حيث المفهوم والدوافع، وبيان أثر تدبّر القرآن في ضبط السلوك وتنظيمه.

المبحث الرابع: عرض لكيفيّة بناء الشخصيّة المسلمة من خلال الربط بين مقوماتها الفكريّة والسلوكيّة. فتناول في مطلبين، أهميّة العقيدة في ضبط المقوّم السلوكي وضبطه، وتضمّن مخطط بياني توضيحي جرى فيه شرح خطوات بناء الشخصية الإسلاميّة المتميّزة باقتران مقوماتها. ثم **الخاتمة:** تضمّنت أهم النتائج.

المبحث الأول

مفاهيم ألفاظ ومصطلحات عنوان الدراسة

المطلب الأول: مفهوم مصطلح (تدبّر القرآن الكريم):

أولاً: مفهوم التدبّر لغةً واصطلاحاً: تدور مادة (التّدبّر) في اللسان العربي حول المعاني التالية: آخر الشيء وعقبه، التفكر، التأمل والنظر في أدبار الأمور وعواقبها. فالتدبّر: "هو النظر في آخر الأمر، ودُبرَ كل شيء: آخره"(١). "والدُّبُر مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: عَقِبُه ومُؤَخَّرُه، والتَّدَبُّر التَّفكُّر"(٢). "والتدبّر: عبارة عن النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أنّ التفكرَ تصرفُ القلب بالنظر في الدليل، والتدبّر تصرفه بالنظر في العواقب"(٣).

أما التدبّر في الاصطلاح: فهو مستمدّ من المعاني اللغويّة للكلمة، فيستعمل التدبّر في الدلالة على التفكّر والتأمل في مبادئ الأمور وعلائقها وما ستؤول إليه. فـ"أصل التدبر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كلّ تأملٍ سواء كان نظراً في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لواحقه وأعقابه"(٤). وهو يعني كذلك: "التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني"(٥). وقد أحسنّ **الميداني** عندما عرّف التدبّر بأنّه: "التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة"(٦).

وبعد إمعان النظر في استعمالات العلماء من أهل اللغة والتفسير للفظ (التدّبّر)، يتبين للباحث أنّهم يطلقونها ويقصدون بها (**التفكّر العميق والتأمل الشامل في الألفاظ والتراكيب اللغويّة، للوقوف على نهايات ما تحتمله من المعاني بقصد الفهم والتطبيق**).

إنّ التمعّن في الآيات القرآنية الحاثةِ على تدبّر القرآن الكريم، والنظرَ في أقوال المفسرين المتعلقة بها؛ يفيد بأنّ تدبّر القرآن الكريم ينحصِر في القراءة المنتجة للفهم، والاعتبار، والعمل. فقد أشار الفيروز آبادي لمقصدي (الاعتبار والفهم) عند قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا**

---

(١) جامع البيان، محمد بن جرير الطبري، ج٢١، ص١٩٠.

(٢) تاج العروس، الزبيدي، محمد مرتضى، مادة: دبر.

(٣)التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، ص ١١٧.

(٤) تفسير روح المعاني، الألوسي، ج٣، ٨٩.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج٢٣، ص١٤٨.

(٦) قواعد التدبّر الأمثل، الميداني، ص ١٠.

كَثِيرًا (٨٢) ﴾ النساء: ٨٢ ، قال: "أي: أَفلا يتفكَّرون فيعتبروا، وقوله: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ}، أي: أَفلم يتفهَّموا ما خوطبوا به في القرآن"(١). أمّا مقصد (العمل) وهو الثمرة الأهم والأنفع من التدبّر؛ فيكفي للتنويه بأهميته وضرورة تحصيله، قول الحسن البصري: "نزل القرآن ليُتدَبّر ويعمل به"(٢). وبهذا يتبيّن أنّ وصف التدبّر لا ينطبق على تلاوة القرآن الكريم، إلا إذا استجمعت الشروط التالية:

أولاً: التأنّي في القراءة.

ثانياً: فهم معاني الآيات محل التلاوة.

ثالثاً: الاعتبار (الخشية والاتعاظ).

رابعاً: تطبيق ما ترشد إليه الآيات (العمل).

وهذه المقاصد والشروط التي ذكرناها لتدبر القرآن؛ هي ما ذهب إليه وقرّره جمهور المفسرين في كلامهم عند تفسير آيات التدبّر. فعند تفسير قوله تعالى: ﴿ **كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ** (٢٩) ﴾ ص: ٢٩ قال الطبري: "ليتدبَّروا حُجَج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به"(٣). وقال القرطبي: "وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن، ودليل على أنّ الترتيل أفضل من الهذّ، إذ لا يصح التدبر مع الهذّ. وقال الحسن: تدبر آيات الله اتباعها"(٤). قال الزمخشري: "وتدبّر الآيات: التفكر فيها، والتأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يُدبّر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعاني الحسنة، لأنّ من اقتنع بظاهر المتلوّ لم يحل منه بكثير طائل"(٥).

ولأهميّة منزلة التدّبر في فهم المراد من كلام الله تعالى؛ فقد حضّ الله تعالى عليه في أكثر من موضع في القرآن الكريم، قال ابن كثير: "يقول الله تعالى آمراً عباده بتدبر القرآن وناهياً لهم عن الإعراض عنه وعن تفهم معانيه المحكمة وألفاظه البليغة ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ** ﴾ النساء: ٨٢ "(٦).

---

(١) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ج٢، ص٥٨٨.

(٢) ينظر: مدارج السالكين، ابن القيّم، ، ج١، ص ٤٥١.

(٣) جامع البيان، الطبري، ج٢١، ص ١٩٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١٥، ص ١٩٢.

(٥) الكشاف، الزمخشري، ج٤، ص٩٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٢، ص ٣٦٤.

والأمر بتدبّر القرآن دليلٌ على أنّ فيه فائدةً عظيمة للمتدبّر، ألا وهي القدرة على الانتفاع بالمقصد الرئيس من إنزاله، والذي ينحصر في حصول الهداية للسبيل الأعدل والمنهج الأصوب في التديّن لرب العالمين إيماناً وعملاً، ذلك المنهج المفضي إلى فوز من اتبع رضوانه تعالى بخير الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ الإسراء: ٩ أي: أنّ تدبّر آيات القرآن يهدي ويرشد المتدبّر إلى المنهج الأقوم في الاعتقاد والعمل، والفكر والسلوك. نقل ابن القيّم عن الحسن البصريّ قوله: "نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخَذوا تلاوته عملاً"(١). ثمّ يُعقّب ابن القيّم على كلام الحسن فيقول: "فليس شيءٌ أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر على معاني آياته، فإنّها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما"(٢).

لذا؛ فإنّ الاقتصار على التلاوة والحفظ دون التدبّر المفضي إلى الفهم والعمل؛ لا يُغني شيئاً بل هو صفةٌ مذمومة، قال الحسن البصريّ: "والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إنّ أحدَهم ليقول: قرأتُ القرآن كلّه ما يُرى له القرآنُ في خُلقٍ ولا عمل"(٣). وقد حذّر النبي ﷺ من الوقوف عند حفظ القرآن فقط دون الفهم والاعتبار والعمل بما جاء فيه، فذمّ من يفعلون ذلك بقوله: "يخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يقولون من قول خير البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرَمِيّة"(٤).

والاكتفاء بالتلاوة والحفظ دون التدبّر؛ مخالفٌ لمنهج الصحابة في التعامل مع القرآن الكريم، عن ابن عمر قال: "كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمّة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإنّ آخر هذه الأمّة يقرؤون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به. وفي هذا المعنى قال ابن مسعود: (إنّا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإنّ مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به)"(٥).

فالقراءة التدبّرية هي القراءة المنتجة للفهم والاعتبار والعمل، وهي المنهج الذي سار عليه النبي ﷺ في تعليمه القرآنَ للصحابة ﭫ. ذكر أبو عمرو الداني بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبي ﭫ: "أنّ رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلا يجاوزنها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القران

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيّم، ، ج١، ص ٤٥١.

(٢) المصدر نفسه، والجزء والصفحة.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٧، ص ٦٤.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الفتن، باب: في صفة المارقة، حديث رقم: ٢١٨٨.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١، ص ٤٠.

والعمل جميعاً"(١). فالسلف الصالح – رحمهم الله – كانوا وقّافين عند تدبّر آيات القرآن يرددونها ويتفهمون معانيها، قال محمد بن كعب القُرظي: "لأن أقرأ: (إذا زلزلت الأرض زلزالها، والقارعة) ليلةً أردِّدُهُما وأتفكر فيهما؛ أحبُّ إليَّ من أن أبيت أهُذُّ القرآنَ"(٢).

وبناء على ما سبق، يتبين بأنّ المقصود بتدبّر القرآن الكريم هو (**التفكّر العميق والتأمل الشامل في آيات القرآن الكريم، للوقوف على نهايات ما تحتمله من المعاني، بقصد الفهم والاعتبار والعمل**).

المطلب الثاني: مفهوم مصطلح (صناعة الشخصيّة).

أولاً: مفهوم الشخصيّة لغةً واصطلاحاً: الشخصيّة لغةً: مشتقة من الشخوص، بمعنى الظهور والتبدّي أمام الآخر. والشخص: هو سواد العين، وكلُّ جسمٍ له ارتفاع فهو شخص. قال ابن فارس: "الشين والخاء والصاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ارتفاع في شيء. من ذلك الشّخص، وهو سوادُ الإنسان إذا سما لكَ مِن بُعد. ومنه أيضاً شُخُوص البَصَر"(٣).

أمّا في الاصطلاح: فقد عرّف علماء النفس الشخصيّة بتعريفاتٍ عديدة زادت عن الخمسين. فعرّفها صالح أبو جادو بقوله: "هي تلك الأنماط المستمرة المتسقة نسبياً من الإدراك والتفكير والإحساس والسلوك التي تبدو وتعطي للناس ذاتيتهم المتميزة، فهي تكوين اختزالي يتضمن الأفكار والدوافع والانفعالات والميول"(٤). وعرّفها (بيرت) بقوله: "الشخصيّة ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبياً، والتي تعتبر مميزاً خاصاً للفرد"(٥). أمّا مصطفى عليان فعرّفها بقوله: "الشخصية صفة دالّة على توحدٍ في اتجاه الإنسان، واستواءٍ في أساس عقله الأشياء وميله إليها قبولاً ورفضاً"(٦).

والناظر في التعريفات السابقة؛ يلحظ أنّها اشتركت في ذكر بعض الألفاظ للدلالة على مقومات الشخصيّة، وتلك الألفاظ هي: (إدراك، تفكير، استعدادات عقلية، عقل، دوافع، انفعالات، ميول). وبنظرةٍ فاحصة يتبيّن: أنّ ألفاظ: (إدراك، تفكير، إحساس، استعدادات عقلية، عقل) تتضمن الدلالة على

---

(١) البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، ص ٣٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه، باب في قراءة القرآن، حديث رقم: ٨٨٢٤.

(٣) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة: شَخَصَ.

(٤) سيكولوجية التنشئة الاجتماعيّة، محمد صالح أبو جادو، ص ٣١٣.

(٥) نقلاً عن تحليل الشخصية، محمد خليفة بركات، ص٨.

(٦) بناء الشخصيّة في القصة القرآنية، مصطفى عليان، ص ١١.

المقوّم الفكري في الشخصيّة، والذي هو قوام (العقليّة). وأنّ ألفاظ: (سلوك، دوافع، انفعالات، ميول) تتضمّن الدلالة على المقوّم السلوكي في الشخصيّة، والذي هو قوام (النفسيّة).

وعليه؛ فإنّ "الشخصيّة في كلّ إنسان نتاج متآلف لبعدين اثنين: عقليته ونفسيته. فبهما يتوجه سلوكه المرتبط ارتباطاً تلازمياً مع المفاهيم والميول، فتكون بذلك مفاهيم الإنسان وميوله هي قوام شخصيته"(١). لذا؛ نستطيع القول: إنّ مقومات الشخصية الإنسانيّة اثنان فقط:

الأول: (المقوّم الفكري) = العقليّة. الثاني: (المقوّم السلوكي) = النفسيّة.

فشخصيّة الإنسان إذن؛ تساوي مجموع المركب العقلي والنفسي لديه. وبهذا التحديد المنضبط لمفهوم الشخصية؛ لا يكون لشكل الإنسان، أو هندامه، أو مركزه الاجتماعي أو الوظيفي أو الاقتصادي، أو انتمائه القومي أو الوطني؛ أي علاقة في تكوين مقومات شخصيّته.

وبناء على ذلك نقول: إنّ البحث في صناعة الشخصيّة على وجه التحقيق؛ ينحصر فقط في كيفية بناء: المقوّم الفكري والمقوّم السلوكي.

ثانياً: مفهوم (صناعة الشخصيّة) في ضوء تدبّر القرآن الكريم: بعد أن بيّنا المقصود بمفهوم الشخصيّة كلفظ مفرد، بدلالته اللغوية والاصطلاحية، نتحدث الآن حول مفهوم المركب الإضافي (صناعة الشخصيّة)، وما المقصود بدلالة مقارباته المعنويّة في القرآن الكريم؟.

فالجذر (صنع) في اللغة يتضمّن معنى: إجادة عملُ الشيء بعناية وإتقان، والمبالغة في إصلاحه. قال ابن فارس: "(صنع) الصاد والنون والعين أصلٌ صحيح واحد، وهو عملُ الشيء صُنْعَاً"(٢). وقال الراغب: "الصُّنعُ: إجادةُ الفعل، فكلّ صنع فعل وليس كلّ فعل صنع، ولا يُنسب إلى الحيوانات والجمادات كما يُنسب إليها الفعل، قال تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا تَفۡعَلُونَ ٨٨﴾ النمل: ٨٨ ، والاصْطِنَاعُ: المبالغة في إصلاح الشيء"(٣). "وَالاصطِنَاعُ: صُنْعُ الشيءِ بِاعتنَاءٍ"(٤).

---

(١) الفكر الإسلامي، محمد محمد إسماعيل، ص ١٠٢. وينظر: الشخصيّة الإسلاميّة، تقي الدين النبهاني، ج١، ص٥ وما بعدها.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: صنع.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٢٩٠.

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج١٦، ص ٢٢٣.

أمّا في القرآن فقد ورد الفعل (صنع) ومشتقاته في أكثر من موضع، منها موضعان فقط تعلقا بمدلول مصطلح (صناعة الشخصية)، وكلاهما في سورة طه وبحقّ موسى عليه السلام، قال تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}[طه: ٣٩]. وقال تعالى: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي}[طه: ٤١]. ومن خلال تدبّر هاتين الآيتين نجد أنّهما في سياق الامتنان الإلهي على رسول الله موسى عليه السلام، مبيناً أثر نعمته عليه في عدّة أمور، منها: حفظه من عدوه وتربيته ورعايته حتى بلغَ أشدّه. ومنها: بناء شخصيته وَفقَ مقومات فكريّة وسلوكيّة راقيّة، تتناسب مع مهمّة النبوّة والرسالة التي ستناط به مستقبلاً. ومنها: المنُّ عليه بالاختيار والاصطفاء للوحي والرسالة.

وبيان ذلك؛ أنّ قوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}[طه: ٣٩]، ورد في سياق امتنانه سبحانه وتعالى على موسى عليه السلام حال صغره، فحفظه من عدوه فرعون وسخرَ له مَن يرعاه ويكفله ويربيه حتى يبلغ أشدّه. قال القرطبي: "وقيل: (وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي): أي تربى وتغذى على مرأى منّي، قاله قتادة. قال النحاس: وذلك معروف في اللغة، يقال: صنعت الفرس وأصنعت، إذا أحسنت القيام عليه"(١). وقال النيسابوري في معناها: "أي: لتربى ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الشيء بالعينين إذا عُني بحفظه... ويقال: عين الله عليك إذا دُعي له بالحفظ والحياطة"(٢).

أمّا قوله تعالى: (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي). فقد ورد في معرض امتنانه تعالى على موسى عليه السلام حال كِبَره، وذلك باختياره واصطفائه للنبوّة، وإعداد شخصيته لحمل أعباء الرسالة والقيام بواجبات الدعوة، وذلك بتأهيله وبناء مقومات شخصيته الفكرية والسلوكيّة بما يتوافق مع مكانة النبوّة وثقل وأهميّة المسؤولية المبنيّة على ذلك. "قال ابن عباس في تفسير الآية المذكورة: (أي: اصطفيتك لوحيي ورسالتي). وقيل: قويتك وعلمتك لتبلّغ عبادي أمري ونهي"(٣). وقال ابن كثير: "أي: اصطفيتك واجتبيتك رَسُولاً لنفسي، أي: كما أريد وأشاء"(٤).

وقد بيّن الله تعالى المقصود بالصناعة الإلهية لشخصيّة موسى عليه السلام بقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾القصص: ١٤. أي: زودناه بما يلزم من معلومات لتكوين عقليةٍ مهيأة لتلَقي علوم النبوّة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١١، ص١٩٧.

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، النيسابوري، ج٤، ص ٥٤٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١١، ١٩٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٥، ص ٢٩٤.

وتوفيقاً للعمل بمقتضياتها. وهذه هي الأركان الرئيسية لصناعة الشخصيّة النبويّة. عن مجاهد: "(آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) قال: "الفقه والعقل والعمل قبل النبوّة"[١].

فمقتضيات الاصطفاء والعصمة للأنبياء والرسل، تقتضي تولي المولى ﷻ صناعة شخصيات أنبيائه ورسله، وتأديبهم بمحاسن الطباع والعادات، وجبلهم على مكارم الأخلاق، ومن ثمّ تزويدهم بما شاء الله تعالى من حقائق عن الكون والحياة والإنسان وعلاقتها بالخالق، ليقوموا بدورهم بهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

وبناء على ما سبق، نستطيع القول: بأنّ المراد بمقارِبات مصطلح (صناعة الشخصية) في القرآن الكريم هو: بناء الشخصية بمقوماتها الفكريّة والسلوكيّة وفق منهج الوحي، وتنمية تلك المقومات حتى تكتمل وتنضج وتستوي بالإنسان على سوقه.

ثالثاً: مقومات الشخصيّة المسلمة في ضوء تدبّر القرآن الكريم: من المؤكد أنّ القرآن الكريم الذي أُنزل ﴿ **هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ** ﴾ البقرة: ١٨٥ ، قد اعتنى بتعيين وضبط مقومات الشخصيّة المسلمة (الفكريّة والسلوكيّة)، وبيّنها أتمّ بيان، وذلك لما لها من أهمية في بناء شخصية المسلم وتوازنها وتحديد ميزاتها. ولأنّها بمثابة الأسس والضوابط التي ينطلق منها المسلم في تعامله مع الواقع المعاش، وتنظيم علاقاته مع خالقه ونفسه وغيره.

ومن خلال النظر في الآيات القرآنيّة التي تمّ فيها ذكر الإيمان (الجانب الفكري والعقدي). والعمل (الجانب السلوكي). نستطيع أن نحدّد مقومات الشخصيّة المسلمة، ونتبيّن منهج القرآن الكريم في بناء تلك المقومات وتنميتها وضبطها والربط فيما بينها. وبعد الاستقراء والتدبّر للآيات التي ذُكر فيها الإيمان والعمل معاً، نستنتج ما يلي:

أولاً: تكرّر في القرآن ورود الإيمان مقترناً بالعمل الصالح، فيما يزيد على سبعين موضعاً.

ثانياً: إنّ أوضح مثال وأكمله دلالةً على المقومات الرئيسية للشخصيّة المسلمة، قوله تعالى: ﴿ **وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣** ﴾ **العصر**: ١ - ٣. فقد كان الإمام الشافعي – رحمه الله - دقيقاً في فهمه لمقاصد هذه السورة العظيمة، وأنّ

---

[١] جامع البيان، الطبري، ج١٩، ص ٥٣٦.

تدّبرها بحقّ يُفضي لبناء شخصيّة المسلم وَفق منهج الله تعالى فقال: "لو تدبّر الناسُ هذه السورة لوسعتهم"(١).

ثالثاً: جميع المواضع التي ورد فيها الإيمان مقترناً بالعمل الصالح؛ كان العمل الصالح فيها معطوفاً على الإيمان ومرتباً عليه(٢). مما يعني أنّ الإيمان أصل للعمل الصالح وسابقٌ عليه. وأنّ منهج القرآن الكريم في صناعة الشخصيّة المسلمة؛ يقتضي البدء ببناء الجانب الإيماني الفكري أولاً.

رابعاً: أنّ أيّ عمل غير صالح لا يدخل في نطاق المقوّم السلوكي في الشخصية المسلمة.

وبهذا يتبيّن أنّ القرآن الكريم، حدّد مقومات الشخصية المسلمة بعنصرين رئيسين:

الأول: الإيمان. ويتعلق ببناء وتنميّة الجانب العقدي والفكري، ويتمّ بموجبه تكوين المفاهيم عن الوجود (الكون والحياة والإنسان) والموجِد سبحانه وتعالى، وعلاقة الوجود بالموجِد. وبهذا الجانب يتم بناء العقليّة في الشخصيّة المسلمة وتنميتها وضبطها.

الثاني: العمل الصالح. ويتعلّق ببناء وتنميّة الجانب السلوكي: (دوافع، ميول، أفعال). وبهذا الجانب يتمّ بناء النفسيّة في الشخصيّة المسلمة وتنميتها وضبطها.

ولقد أشار كثيرٌ من أهل العلم إلى معاني (الإيمان والعمل الصالح) بما يؤيد ما ذهبنا إليه: قال الحسن البصريّ: "ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن ما وقرَ في القلب وصدّقه العمل"(٣). و(ما وقرَ في القلب): كناية عن الجانب العقدي والفكري. و(صدّقه العمل): كناية عن الجانب السلوكي التطبيقي. قال الشربيني: {إلا الذين آمنوا} أي: أوجدوا الإيمان، وهو التصديق بما عُلم بالضرورة مجيء النبيّ ﷺ به، من توحيده سبحانه والتصديق بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. {وعملوا} أي: تصديقاً لما أقرّوا به من الإيمان"(٤).

ومن الآيات القرآنيّة الدالّة على مقومات الشخصيّة المسلمة، قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٢٩** ﴾ البقرة: ١٢٩. فعند

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٨، ص ٤٧٩.

(٢) جميع هذه المواضع ورد فيها الإيمان متقدماً على العمل الصالح، ما عدا خمس مواضع تقريباً ورد فيها العمل الصالح متقدّماً على الإيمان، مع جعل الإيمان شرطاً لاعتبار العمل وقبوله.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الإيمان والرؤيا، حديث رقم: ٣٠٩٨٨.

(٤) تفسير السراج المنير، الشربيني، ج٤، ص ٤٢٨.

تدبّر هذه الآية ونظائرها في القرآن؛ نلحظ أنّها تشير إلى مقوميّ الشخصيّة المسلمة، فـ"نجد أنّها تتضمّن جانبي العقل والنقل، أو جانب الغيب الذي لا يُناقش وإنّما هو محل الإيمان المطلق، لأنّ العقل البشري قاصرٌ عن فهمه؛ وهنا يُكتفى بتلاوة الآيات من المتعلم أو مُتلقي التربية، وهذا هو الجانب الأول. أما الجانب الثاني: فهو الذي يتمثل في تعبير "يُعلمهم" و "يُزكيهم "، فكلاهما يُشير إلى عمليةٍ بشريةٍ تتعلق ببناء السلوك وتشكيله وتغييره"(١).

وقد ذهب بعض أهل العلم؛ إلى أنّ المقصود بـ (الآيات): العلامات والدلائل التنـزيلية والكونيّة والأنفسيّة ؛ المبرهِنة على حقيّة الإيمان بأصول العقائد الإسلاميّة التي كلّف الله العباد باعتقادها، وهذا تبيين للجانب الإيماني والفكري في الشخصيّة المسلمة، وأنّ المقصود بـ (التزكيّة): هو التقيّد بالأعمال الحسنة والابتعاد عن الأخلاق الذميمة، وهذا تبيين للجانب العملي في الشخصيّة المسلمة. قال صاحب المنار: "(يتلو عليهم آياتكَ) المرَادُ بِالآياتِ فِيمَا سَبَقَ؛ دَلائِلَ العقَائدِ وَبَرَاهِينَهَا، وَأَمَّا (الْحِكْمَةُ) الْمُرَادُ بِهَا أَسْرَارُ الأَحْكَامِ الدِّينِيَّةِ وَالشَّرَائِعُ وَمَقَاصِدُهَا، (وَيُزَكِّيهم) أَي يُطَهِّرُ نُفُوسَهُم مِنَ الأَخلاقِ الذَّمِيمَةِ، ويَنزِعُ مِنهَا تِلْكَ الْعَادَاتِ الرَّدِيئَةَ، وَيُعَوِّدُهَا الأَعْمَالَ الْحَسَنَةَ"(٢). وقال الخازن: "(ويعلمهم الحكمة) وهي: الإصابة في القول والعمل"(٣).

هذا وقد ورد في السنّة المطهرة ما يؤيد قيام الشخصية المسلمة على جانبين متكاملين متلازمين، هما: الإيمان والعمل الصالح. وأنّه لا يُعتدُّ بأحدهما دون الآخر. وللمثال لا للحصر، قول النبي ﷺ: "لا يُؤمِنُ أَحدُكُم حتَّى يكُونَ هواهُ تَبَعًا لِمَا جِئتُ بِه"(٤). "أي لا يكمل إيمانُ أحدِكم حتى يكونَ في متابعة الشرع وموافقته له"(٥). وقد يُعبّر عن هذين المقوّمَين في الفكر الإسلامي، بأكثر من مصطلح، مثل: الإيمان والعمل، العقيدة والشريعة، الفكر والسلوك، العقليّة والنفسيّة. ولا مُشاحة في الاصطلاح.

وفي ختام هذا المبحث نخلص إلى القول: بأنّ البحث في صناعة الشخصيّة المسلمة في ضوء تدبّر الآيات القرآنيّة المتعلقة في ذلك؛ ينحصر فقط في كيفية بناء: المقوّم الفكري = العقليّة. والمقوّم السلوكي = النفسيّة، وكيفية تنمية هذين المقوّمين وضبطهما. وهو ما سيكون موضوع حديثنا في المباحث القادمة من هذه الدراسة – بإذن الله تعالى –.

---

(١) التنظيم المدرسي والتحدي التربوي، نبيل السمالوطي، ص ١٩٨. بتصرف قليل.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج١، ص ٣٨٨-٣٨٩. بتصرّف قليل.

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد الخازن، ج١، ص ٨٢.

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم، السنّة، باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به النبي ﷺ، حديث رقم: ١٥.

(٥) مرقاة المفاتيح، المبار كفوري، ج١، ص ٢٦٦

المبحث الثاني

أثر تدبر القرآن الكريم في بناء المقوّم الفكري في الشخصية المسلمة

مدخل: تبيّن لنا – في المبحث السابق – أنّ منهج القرآن الكريم في صناعة الشخصيّة المسلمة؛ يقتضي البَدء ببناء الجانب الإيماني الفكري أولاً. لما له من أهميّة في تكوين العقليّة الإسلاميّة التي تُعدّ بمثابة القاعدة الفكرية التي يقيس عليها المسلم صوابيّة وخطأ أي فكر يُعرض عليه. ولتوقف بناء وضبط المقوّم السلوكي في الشخصيّة المسلمة عليه كذلك.

إنّ الطريقة التي أرشد إليها القرآن الكريم في بناء العقيدة الإيمانية؛ تعتمد على إطلاق التفكير في الآيات الكونيّة والأنفسيّة، قال تعالى: ﴿ **وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ (٢١) وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢)** ﴾ الذاريات: ٢٠ - ٢٢. وفي السنن الإلهيّة الثابتة في معاملة الأمم والمجتمعات السابقة، قال تعالى: ﴿ **فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا (٤٣)** ﴾ فاطر: ٤٣ فحثَّ ﷻ الإنسان على النظر والتأمّل والتفكّر في هذه الآيات العظيمة الباهرة المبثوثة في كتابه المنظور، والربط والمقارنة بينها وبين ما ورد من آيات تنزيليّة تتعلّق بها في كتابه المسطور (القرآن)؛ ليصل أصحاب الألباب والنُّهى والأبصار إلى عقلها، أي: حصول الاعتبار بهذه الآيات وإدراك حقيقة أنّ الوجود مخلوقٌ لخالق يتصف بصفات الكمال المطلق. قال تعالى: ﴿ **وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ (٤٣)** ﴾ العنكبوت: ٤٣.

ولذا؛ فقد جعل الله تعالى النظر والتفكّر في هذه الآيات؛ فرضاً واجباً، وطريقاً موصِّلاً إلى الإيمان بحقيقة وجود الله تعالى وما ينبني عليها من الحقائق الإيمانيّة الأخرى. قال تعالى: ﴿ **قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾يونس: ١٠١ قال القرطبي في تفسيرها: "أمرٌ للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الدالة على الصانع والقادر على الكمال"(١). وقال صاحب المنار: "ولذَلِكَ جاءَ القُرآنُ يُلِحُّ أَشَدَّ الإلحَاحِ بِالنَّظَرِ العقليِّ، والتَّفكُّرِ والتَّدبُّرِ وَالتَّذَكُّرِ، فَلا تقرَأُ منهُ قليلاً إلا وتراهُ يَعرِضُ عليكَ الأَكوانَ، ويأمُرُك بالنَّظَر فِيهَا واستخرَاجِ أَسرارِها، واستجلاءِ حِكَمِ اتفاقِهَا واختلافِهَا﴿ **قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾يونس: ١٠١ "(٢).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٨، ص ٣٨٦.

(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج١، ص٢٠٨.

وعدّ بعض العلماء النظر في آيات الله المبثوثة في الأكوان والأنفس المؤدي لمعرفة الله؛ أول الواجبات على العبد عند بلوغه عاقلاً، ليكون إيمانُه مبنياً على نظرٍ وتفكّرٍ ذاتيٍ مباشر، وغير خاضعٍ لتبعة التقليد المانع للعقل من الانطلاق. يقول الباقلاني: "إنّ أول ما فرض الله على جميع العباد، النظر في آياته، والاعتبار بمقدوراته، والاستدلال عليه بآثار قدرته، وشواهد ربوبيته"(١).

وبهذه الطريقة فقط من التفكير المستنير(٢)؛ يستطيع الإنسان الحصول على تفسير شامل وصحيح ومطابق لحقيقة الأمر، عن الوجود (الكون والحياة والإنسان) والموجِد ﷻ، والعلاقة بينهما. قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ فصلت: ٥٣. ومن خلال تدبّر الآيات السابقة ونظائرها في القرآن الكريم، تظهر أهميّة عمليتي التفكّر والتعقُّل في بناء المقوّم الفكري للشخصيّة المسلمة. فما المقصود بالتفكّر والتعقُّل؟ وما العلاقة بينهما؟.

المطلب الأول: مفهوم (التفكّر، والتعقّل) والعلاقة بينهما:

أولاً: مفهوم العقل: (العقل) في اللغة من الألفاظ المشتركة التي تطلق على أكثر من معنى، فـ "العقل: نقيض الجهل، والمعقول ما تعقله في فؤادك. وعقلت البعير عقلاً، شددت يده بالعقال أي الرباط. اعتقل اللسان: انحبس عن الكلام. وعاقلة الرجل: أقاربه الذين يمنعونه من الغير. وعَقَلَ: تثبت في الأمر. وعَقَل الشيء: فهمه. والعقل: الحصن وجمعه العقول. والعقل: الحابس عن ذميم القول والفعل. والعقل: الحجر والنهى ضد الحمق. والعقال: داء في ساق الدابة يمنعها من المسير. والعقال: الحبل الذي يُربط به الشيء"(٣). وبهذا يتبين أنّ لفظ العقل في اللغة يدور حول معاني: الشدّ، والربط، والحجر، والتحصُّن، والمنع، والحبس، والفهم، والتثبت. فالقدرة على العقل: هي القدرة على التوثيق والربط والتثبّت. والتوثيق يشتمل على نفي وإثبات. فبعملية العقل لأمرٍ ما يقوم الإنسان بـ:

١- تثبيت المعلومات الصحيحة عن ذلك الأمر في الذهن ومنعها من الذهاب.
٢- نفي المعلومات غير الصحيحة عن ذلك الشيء واستبعادها عنه.

---

(١) الإنصاف، الباقلاني، ص ٢١.

(٢) التفكير المستنير أو المنظومي، هو أرقى درجات التفكير، ويكون من خلال النظر إلى الشيء وفهمه وفهم ما يتعلق به ثمّ الحكم عليه. ويُركّز فيه على العلاقات البينيّة. أي فهم الأشياء والحكم عليها مربوطة بما يتعلّق بها.

(٣) يُنظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، باب: العين والقاف واللام. ومعجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة: عقل. ومختار الصحاح، الرازي، مادة: عقل. وتهذيب اللغة، الأزهري، باب العين والقاف واللام. والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٣٤٥..

٣- الحكم على ذلك الأمر حكماً صائباً بدرجة القطع والجزم.

وأمّا العقل اصطلاحًا: فقد تعددت وتفاوتت تعريفات العلماء له، ومن أخصرها وأقربها لواقع عمليّة التعقّل القول بأنّه: "(ما يقع به التمييز، ويمكن الاستدلال به على ما وراء المحسوس). فهذا التعريف روعي فيه الدور الوظيفي للعقل في الاستفادة من معطيات الحواس والبناء عليها؛ لتحصيل العلم بالمجهول"(١).

ثانياً: العقل في القرآن الكريم: لم يرد لفظ (العقل) في القرآن الكريم كمصدرٍ دالّ على ذات، وإنّما ورد بصيغة الفعل: (يعقل، نعقل، يعقلون، تعقلون، يعقلها، عقلوه)؛ وذلك في (٤٩) موضعاً من القرآن، وهو ما يدلُّ على أنَّ العقل ليس مصدرًا قائمًا بذاتِه، وإنَّما هو عمليَّة تعقُّل يقوم بها الإنسان، قوامها الربط بين الدَّالّ والمدلول، والأسباب والمسببات، والمقدمات والنتائج، للوصول إلى فكرٍ صحيح عن الواقع المراد عقله، أي فهمه وإدراكه.

وإذا نظرنا إلى صيَغ التعقّل المذكورة في القرآن من خلال سياقاتها؛ نجد أنّها تحمل معاني مشتركة تدور حول النظر العقلي المفضي إلى الاعتبار والتبصّر القائم على الربط بين آيات كتاب الله المنظور (الكون والأنفس) وآيات كتابه المسطور (الوحي)، للوصول إلى اكتشاف حقائق الوجود وعلاقتها بالموجِد. قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٦٤**﴾ البقرة: ١٦٤

ثالثاً: مفهوم الفكر: الفكر في اللغة من فَكّرَ يفكرُ تفكيراً، قال ابن منظور: "الفَكْرُ والفِكْرُ: إعمال الخاطر في الشيء"(٢). وقال ابن فارس: "الفاء والكاف والراء؛ تردُّدُ القَلْب في الشَّيء. يقال تفكّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبِراً"(٣). ونقل الراغب عن بعض الأدباء أنّ "الفكر مقلوب عن الفرك، لكن يستعمل الفكر في المعاني، وهو فرك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها"(٤).

---

(١) منهج التفكير العقلي في القرآن، مصطفى حسين عبدالهادي، مقال على النت، ٢٠٠٧م.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة: فكر.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: فكر.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٣٨٦.

وحول هذا المعنى اللغوي تدور غالب **التعريفات الاصطلاحية** للفكر. يقول الغزالي: "اعلم أنّ معنى الفكر: هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة"(١). وعند الرَّاغب الأصفهاني هو: "قوّة مطرقة للعلم إلى معلوم، وجوَلان تلك القوّة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يمكن أن يُقال إلاَّ فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلْب"(٢). وقال الجرجاني: "الفكر: ترتيب أمور معلومة لتؤدي إلى مجهول"(٣). ومن المعاصرين عرّفه فتحي جروان بقوله: "التفكير في أبسط تعريف له عبارة عن سلسلة من النشاطات العقلية التي يقوم بها الدماغ عندما يتعرض لمثير يتم استقباله عن طريق واحدة أو أكثر من الحواس الخمس"(٤).

وبهذا يتبين أنّ التفكير: "نشاط عقلي أو ذهني، يبدأ عند وجود مثير ما، كحدث، أو ظاهرة، أو موقف معين، خطواته متسلسلة ومنظمة، تبدأ بالملاحظة، يهدف للتوصل إلى نتيجة ما أو حل لمشكلة"(٥).

الفرق بين الفكر والتفكير: ممّا سبق؛ يتضح جلياً الفرق بين الفكر والتفكير، وذلك كالفرق بين عمليّة التصنيع والمنتج. **فالتفكير:** عملية عقلية تنتج فكراً. أمّا **الفكر:** فهو ثمرة لتلك العملية. وكذلك فإنّ عملية التفكير مطلقة لا يمكن تقييدها بوصف مُعيّن، بعكس الفكر. وهذا يعني أنّ الفكر يختلف عن التفكير من حيث الواقع والمفهوم.

رابعاً: التفكير في القرآن: وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعًا، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر. وإنّما جاءت في صيَغ فعليّة، مثل: "فكَّر"، "يتفكرون"، "تتفكرون". ومن الملاحظ أنّ غالبيّة آيات التفكّر وردت في الآيات المكيّة، وهذه الكثرة تتوافق مع طبيعة وأهداف القرآن المكي في التركيز على تقرير مسائل التوحيد والنبوة والبعث وحقائق الوجود الأخرى، وبالمقابل ضرب الأفكار السائدة في المجتمع الجاهلي آنذاك، وبالتالي تأسيس منهج فكري منضبط صالح لبناء مقومات الشخصية الإنسانية وفق إرادة الخالق ﷻ.

---

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج٤، ص٤٢٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٣٨٦.

(٣) التعريفات، الجرجاني، ص٢٤٧.

(٤) تعليم التفكير، فتحي جروان، ص ٣٣.

(٥) التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، عبدالوهاب محمد حنايشة، ص ١٤.

وقد يأتي التفكير في القرآن بمعنى النظر العقلي والتأمّل، والانتقال من المقدمات العلمية أو الظنية إلى ما يترتب عليها من نتيجة علمية أو ظنية. قال صاحب المنار: "وَاسْتِعْمَالُ الْقُرْآنِ لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّفْكِيرِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا فِي العَقلِيَّاتِ المحضَةِ أَو فِي الْعَقْلِيَّاتِ الَّتِي مَبَادِئُهَا حِسِّيَّاتٌ... وَأَكْثَرُ مَا اسْتَعْمَلَهُ التَّنْزِيلُ فِي آيَاتِ اللهِ وَدَلائِلِ وَجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ"(١). وعند الرازي فإنّ الفكر والنظر مسميان لمسمّى واحد، فـ"النظر والفكر عبارة عن ترتيب مقدمات علمية أو ظنية، ليتوصل بها إلى تحصيل علم أو ظن"(٢). وقال الراغب: "النَّظَرُ: تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدرَاكِ الشيءِ ورؤيَتِهِ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّلُ والفَحْصُ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهو الرَّوِيَّةُ. يقال: نَظَرْتَ فلم تَنْظُرْ. أي: لم تَتَأَمَّلْ ولم تَتَرَوَّ، وقوله تعالى: {قُلِ انْظُرُوا ماذا فِي السَّماواتِ} أي: تَأَمَّلُوا"(٣).

"والقرآن الكريم يذكر التفكير ويعبر عنه بكلمات متعددة، تشترك في المعنى أحياناً وينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق أحياناً أخرى، فهو الفكر والنظر والبصر والتدبر والاعتبار والذكر والعلم، وسائر هذه الملكات الذهنية التي تتفق أحياناً في المدلول، ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات الأخرى"(٤). فمن خلال إحصاء الآيات التي تدعو إلى التفكير بلفظه الصريح أو بواسطة نظائره مثل: التدبّر، التبصّر، التعقّل، النظر، التذكّر، التفقّه – على مستوى الجذور والمشتقات –يتبين أنّ مجموعها يساوي تقريباً (٦٢٤) آية، أي ما نسبته حوالي ١٠% من العدد الكلّي لآيات القرآن(٥). وفي هذا دلالة على أهمية التفكير بالنسبة للإنسان، وخطورة دوره في تحديد معالم شخصيته في الدنيا، وتحديد مصيره في الآخرة.

خامساً: العلاقة بين التعقّل والتفكّر في القرآن: وبناء على ما سبق، وفي ضوء استقراء وتدبّر الآيات القرآنيّة التي وردت فيها مشتقات (التعقّل، والتفكّر)، نستطيع أن نستنتج بعض الملاحظات التي تساعدنا على فهم العلاقة بين التعقّل والتفكّر في استعمال القرآن، ونجمل هذه الملاحظات بالآتي:

أولاً: الفرق الجوهري من حيث المعنى اللغوي بين التفكّر والتعقّل: هو أنّ التعقّل: ربط ومنع. والتفكّر: تقليب وترديد. فالقدرة التفكيرية تختلف عن القدرة العقلية.

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج٩، ص٣٨٥.

(٢) معالم أصول الدين، الرازي، ص ٢٠.

(٣) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٤٩٩.

(٤) التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، ص ٩.

(٥) ينظر تفاصيل الإحصائية المذكورة: علم التفكير، صلاح صالح معمار، ص ، ١٨-٢٧.

ثانياً: عمليّة التعقُّل خاصّة، يتّصف بها أهل العلم المنتج للإيمان الذين يتفكرون في العلاقة الخالقية ويدركونها فقط، ﴿ **وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ** ﴿٤٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٣. أمّا الكفّار الذين لا يُدركون العلاقة الخالقيّة؛ فصفة التعقّل منفيّةٌ عنهم﴿ **وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة: ١٧١. فعمليّة التفكّر عامّة يشترك بها جميع الناس الذين يملكون عوامل التفكير.

ثالثاً: عمليّة التفكّر قد تنتج حكماً عقلياً صائباً، وقد تنتج فكراً منحرفاً خاطئاً. ﴿ **إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ** ﴿١٨﴾ **فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** ﴿١٩﴾ **ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ** ﴿٢٠﴾ ﴾ المدثر: ١٨ - ٢٠. أمّا التعقّل فلا ينتج إلا صواباً وحكمة.

رابعاً: إنّ التعقُّل ليس هو التفكّر، وإنّما نتيجة له. فقد يحصل تفكّر ولا يحصل منه تعقُّل، ولا تعقُّل بدون تفكير. فباستقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر التفكّر والتعقُّل في سياقٍ واحد؛ يلاحظ أنّ التعقُّل لا يُذكر إلا بعد التفكّر. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ **يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿١١﴾ **وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴿١٢﴾ ﴾ النحل: ١١ - ١٢.

وفي هذا دليلٌ واضح على أنّ عمليّة عقل الشيء لا تتأتى إلا بعد تفكيرٍ دقيقٍ وشامل لذلك الشيء وما يتعلّق به. وهذا يعني أنّ التفكير في الشيء مقدّمة ضروريّة ولازمة للوصول إلى الحكم العقلي الذي يُعدّ نتيجة لتلك العمليّة.

المطلب الثاني: عناصر التفكير ومجالاته وحدوده في ضوء القرآن الكريم:

أولاً: **عناصر عملية التفكير من منظور قرآني**: وبما أنّ التفكير عمليّة تنتج فكراً، فمن الضروري أن تقوم هذه العملية على عدّة عناصر تشترك وتتفاعل فيما بينها لاكتمال عمليّة الإنتاج. وبالنظر إلى ما سبق من تعريفات التفكير، والرجوع إلى الآيات القرآنية؛ نستطيع أن نستنتج عناصر أو أركان عملية التفكير اللازمة لإنتاج الفكر وهذه العناصر هي:

الواقع: وينحصر في الأشياء والأمور الواقعة ضمن نطاق الحواس. والآيات القرآنية التي ذكرت الواقع كمجال وميدان للتفكّر كثيرة، من أمثلتها قوله تعالى: ﴿ **أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ** ﴿١٧﴾ **وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ** ﴿١٨﴾ **وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ** ﴿١٩﴾ **وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴿٢٠﴾ ﴾ الغاشية: ١٧ - ٢٠

المعلومات السابقة: وقد أشار إليها القرآن بقوله تعالى: {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}[البقرة: ٣١]. وتعدّ المعلومات السابقة الركن الأهم في عملية التفكير. فبموجبها يتحدد نوع الفكر المحكوم به على

الواقع ودرجة صوابيته. وهي تُشكّل القاعدة الفكرية لعملية التفكير وبناء العقليّة وضبط السلوك. وإلى هذا أشارت الآية الكريمة {وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا}. فآدم عليه السلام استطاع أن يُصدر أحكاماً على المسميات المعروضة عليه؛ بناء على وجود معلومات سابقة في قاعدته الفكرية المستمدّة مما علمه الله تعالى عن تلك المسميات مسبقاً، وهو ما كانت الملائكة تفتقده. فعملية عقل الأشياء (إدراك واقعها)، لا يُمكن أن تتم بدون معلومات سابقة متعلقة بها، قال تعالى {وَمَا يَعْقِلُهَا إلا الْعَالِمُونَ}.

الدماغ: وهو مخزن المعلومات ومحل تحليلها والتفاعل فيما بينها، والربط بينها وبين الواقع محلّ التفكّر. وقد أشار إليه القرآن بلفظ (الفؤاد). دلّنا على ذلك؛ أنّ القرآن الكريم لا يذكر الأفئدة إلا معطوفةً على السمع والأبصار. {وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ}[الملك: ٢٣]. والذي يساعد على هذا الفهم؛ حصرُ وظيفة السمع والبصر في نقل صورة الواقع المحسوس إلى الدماغ – والله أعلم –.

الحواس: وهي وسيلة نقل الإحساس بالواقع إلى الدماغ. وورد ذكر الحواس في كثير من الآيات القرآنية كأدوات إدخال صوَر المحسّوسات إلى الدماغ. من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ** ﴾ الملك: ٢٣ وقوله: ﴿ **وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦** ﴾ الإسراء: ٣٦

وبناء على ما سبق من تعريفات لغويّة واصطلاحية واستعمالات قرآنية لمادتي التعقّل والتفكّر يتبيّن أنّ "المنظومة العقل آليات معينة تعمل معاً لتحقق المفهوم الذي أراده القرآن، فالتفكير والتقليب والتأمل وإمعان النظر والإنضاج وتوفير المعرفة والبحث عنها، جميعها آليات للعقل تعمل معاً في توازن دقيق وحركة دائمة، موضوعها هو الواقع، يشارك في إدراكه الحواس وقوة الدماغ والمعارف المكتسبة وقوى النفس المختلفة، جميعها تعمل معاً فليس هناك جهة واحدة مسؤولة عن العقل دون أخرى، بل جميع قوى الإنسان الداخلية بما فيها بناءه المعرفي، وبيئته الخارجية وقنوات اتصاله مع البيئة الخارجية، تشارك جنباً إلى جنب في عملية العقل، فإن وصلت إلى غايتها فقد حصل العقل، وإلا فلا يخرج عن كونه كالأنعام بل أضلُّ سبيلاً، فالكافرون والعاصون مثلاً، لا يتحقق عندهم مفهوم العقل، بالرغم من أنّهم يمارسون كثيراً من فعاليات التفكير، إلا أنّهم لا تكتمل عندهم منظومة العقل، فوصَفَهم القرآن بأنّهم لا يعقلون. فالعقل بهذا المعنى وازعٌ يعقل صاحبه عما يأباه له التكليف"(١).

ثانياً: مجالات التفكير وحدوده في ضوء القرآن الكريم: فكما أنّ القرآن الكريم حثّ على

---

(١) دور القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، مصطفى حوامدة، ص ٦.

التفكير، ولفت الانتباه إلى أهميته كوسيلة لحصول الإنسان على المعرفة الصادقة عن الوجود والموجِد والعلاقة بينهما، فقد ضبطه وحدّد المجال الذي ينبغي أن يعمل فيه ولا يتعداه. وقد بيّن القرآن الكريم أنّ مجال التفكير ينحصر في الواقع المحسوس والآثار الدالة على وجود واقع(١).

فالقرآن الكريم حدّ مجال التفكير بالحدّ الفاصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة، فجعل معطيات عالم الشهادة هي ميدان التفكير الصالح للنظر والتأمل والتبصّر لوقوعها في نطاق الحواس. فالحواس هي أدوات نقل صورة الواقع إلى الدماغ. وهذا يعلل نهي القرآن عن محاولة إقحام عمليّة التفكير خارج نطاق الحواس. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦** ﴾ الإسراء: ٣٦ .

أمّا الأمور الغيبية التي وراء الواقع المحسوس، فلا سبيل لعقلها بواسطة التفكير؛ لأنّها خارجة عن مجاله وحدوده. قال الشافعي: "إنّ للعقل حداً ينتهي إليه، كما أنّ للبصر حداً ينتهي إليه"(٢). ف "عقولنا مفتقرة في إدراك عالم الغيب إلى الوحي، وإنّه يجب علينا الوقوف في المغيبات عند النص الموحى به"(٣). لهذا، فقد ذمّ الله تعالى من يبحث في الغيب أو يدعى معرفته، قال تعالى: ﴿ **أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ٧٨ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ٧٩** ﴾ مريم: ٧٨ - ٧٩. ولهذا؛ أخطأ بعض الفلاسفة وتاهوا؛ عندما جعلوا الغيب مجالاً للبحث والنظر العقلي. ومن هنا تُفهم الحكمة من قول النبي ﷺ: "من أتى عرّافاً فسأله عن شيءٍ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"(٤).

أمّا بالنسبة لمجالات التفكير المندرجة في نطاق الواقع المدرك بالحس، والتي لفت القرآن الكريم انتباه الإنسان إليها، وحثّه على النظر والتفكّر فيها فمتعددة، وقد أشار ابن القيم إلى أصول مجالات التفكّر في آيات الله المنظورة والمسطورة بإيجازٍ بليغ بقوله: "التفكر في القرآن نوعان: تفكّر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه. وتفكّر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه. فالأول تفكر في الدليل القرآني، والثاني تفكر في

---

(١) هناك اختلاف بين الحكم على الواقع المحسوس وبين الحكم على الواقع الذي دلّت على وجوده آثارُه. فالحكم على الواقع المحسوس يكون حكماً على وجوده وحكماً على ذاته ما هو؟ أمّا الحكم على وجود واقع دلت الآثار على وجوده، هو حكم على الوجود وعلى الأوصاف الضرورية المتعلقة بهذا الوجود الدالة عليها الآثار، وليس حكماً على الذات، فالبعرة تدلّ على البعير والأثر يدلّ على المسير.

(٢) آداب الشافعي ومناقبه، ابن أبي حاتم الرازي، ص ٢٠٧.

(٣) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن الميداني، ص ٢٦.

(٤) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب السلام، باب: تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم: ٢٢٣٠.

الدليل العياني. فالأول تفكر في آياته المسموعة، والثاني تفكر في آياته المشهودة، ولهذا أنزل الله القرآن ليُتَدبّر ويُتفكّر فيه ويُعمل به، لا لمجرد التلاوة مع الإعراض عنه"(١). ويمكن إجمال أبرز مجالات النظر والتفكّر التي أشار إليها القرآن بالآتي:

المجال الأول: آيات القرآن وما تضمّنته من إشارات علميّة ووجوه إعجاز: إنّ آيات التنزيل الحكيم؛ هي أول وأهمّ الأمور التي وجه الله ﷻ الإنسان إلى التفكّر فيها؛ ليتبصّر ويعقل من خلالها حقائق الإيمان المدعو إلى التصديق بها تصديقاً جازماً مطابقاً للواقع.

يقول موريس بوكاي: "وتناولتُ القرآن كلَّه منتهيًا بشكل خاص إلى الوصْف الذي يعطيه عن حشْد كبير من الظواهر الطبيعية الواضحة في النصِّ العربي الأصيل للقرآن، ومطابقة هذا النصِّ غير المترجَم للمفاهيم العلمية التي نملكها اليوم عن نفس الظواهر الكونية التي لم يكن ممكنًا لأيِّ إنْسان في عصر محمد ﷺ أن يعرفها أو يمتلك منها أدْنَىٰ فكرة، أوَّل ما يثير الدَّهشة في رُوح من يواجه القرآن أول مرة هو ثراءُ الموضوعات العلمية"(٢).

ومن الآيات الداعيّة إلى التفكّر في آيات القرآن قوله تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [النساء: ٨٢]. قال السعدي في تفسيرها: "يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنّه يُعرِّف بالربّ المعبود، وما له من صفات الكمال؛ وما ينزه عنه من سمات النقص، ويُعرِّف الطريق الموصلة إليه... وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة"(٣).

المجال الثاني: الآيات التي تدعو إلى التفكّر في عجائب الآفاق والأنفس: ومن الميادين الرحبة لجولان النظر وتقليب الفكر فيها، الآيات الآفاقيّة والأنفسيّة، الدالة على عظمة الله تعالى ودقة صنعته الظاهرة في واقع مخلوقاته في الآفاق والحياة والأنفس وتدبيره لها؛ مما يستدعي الإنسان للإيمان بوحدانية الخالق ﷻ وعظمته وقدرته، واتصافه بصفات الكمال والجلال. ف"المحور الرئيس في المنهج اللازم لتنمية القدرات العقلية، والتفكير السليم، هو التفاعل مع عناصر الكون القائم، والأحداث الجارية فيه. فالقدرات العقلية تنمو وتنضج من خلال دراسة هذا الكون، وعناصره المتناثرة في الكرة الأرضية، وغيرها من الكواكب. ولذلك كانت التوجيهات الإسلامية للسير في الأرض، والبحث في نشأة عناصر الوجود، وتطور

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن قيّم الجوزية، ج١، ص ١٨٧.

(٢) التوراة والإنجيل والقرآن بمقاييس العلم الحديث، موريس بوكاي، ص ١٤٤.

(٣) تفسير السعدي، عبد الرحمن السعدي، ص ١٨٩.

هذه العناصر وتركيبها... وكلما اتسعت رحلة القدرات العقلية، وعملية التفكير خلال بعدي الوجود الزماني، كلما نمت هذه القدرات وأُحكمت عملية التفكير"(١).

و"في القرآن الكريم ما يزيد على ألْف آية تتحدَّث عن معالم هذا الكون، وتَذْكر مفرداته من: السماوات والأرض، والشمس والقمر، والكواكب والنجوم، والجبال والبحار والأنهار، والمطر والرعد والبرق... إلى آخره، وإذا كانت هذه الآيات قد ذَكَرت تلك المفردات في سياقِ لفْتِ الأنظار إلى مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق، دلالةً على وحْدانية الخالق سبحانه، وتُثْبِت قضية البعث الذي أنكره الكفَّار، فإنَّها مع ذلك قد جاءت في أسلوبٍ وعبارةٍ تفتح أمام العقل البشري آفاقًا واسعة للتفكير في دلالاتها عبْرَ عصوره المتعاقِبَة من بَعد نزول القرآن، فيقوم لدَيه من هذه الدلالات في كلِّ عصر ما يشهد بالحقِّ الذي جاءت به"(٢).

قال السعدي عند حديثه حول قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}[فصلت: ٥٣]: "كالآيات التي في السماء والأرض وما يحدثه تعالى من الحوادث العظيمة الدالة للمستبصر على الحقّ، (وَفِي أَنْفُسِهِمْ): مما اشتملت عليه أبدانهم من بديع صنع الله، وعجائب صنعته، وباهر قدرته، وفي حلول العقوبات والمثلات في المكذبين ونصر المؤمنين. (حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ) من تلك الآيات، بيانًا لا يقبل الشك (أَنَّهُ الْحَقُّ) وما اشتمل عليه حقّ"(٣).

المجال الثالث: الآيات التي تدعو إلى التفكّر في نعم الله على خلقه: إنّ نعمَ الله تعالى على البشر لا تعدّ ولا تحصى، {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا}[إبراهيم: ٣٤]. والإنسان بطبيعته المحدودة؛ شديد الفقر والاحتياج إلى هذه النعم. وقد تطرّق القرآن الكريم لبعض هذه النعم في معرض بيان نعمته وفضله ﷻ على البشر، ولفت النظر إلى التفكّر في عوائد وفوائد هذه النعم، بحيث لا يستطيع الإنسان العيش بدونها ولا تستقيم حياته إذا حُرِم من أبسطها. ليقوده التفكّر إلى القيام بشكر المنعم كما ينبغي له سبحانه.

ومن نعم الله الظاهرة على الإنسان، نعمة تسخير ما في السماوات والأرض، تلك النعمة التي تدعو كلّ ذي لبٍّ وبصرٍ إلى التفكّر والتدبّر بعظيم فوائدها ومنافعها، وتستوجب التوجه إلى المنعم سبحانه بشكره وذكره وحسن عبادته، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}[لقمان: ٢٠]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: (أَلَمْ تَرَوْا) أيها الناس

---

(١) مقومات الشخصية المسلمة، ماجد عرسان الكيلاني، ص ٤٢-٤٦.

(٢) عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد السيد راضي جبريل، ص ٦٦.

(٣) تفسير السعدي، عبد الرحمن السعدي، ص ٧٥٢.

(أنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ) من شمس وقمر ونجم وسحاب (وَما فِي الأَرْضِ) من دابة وشجر وماء وبحر وفلك، وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم، لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذّكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه"(١).

المجال الرابع: السنن الإلهية في الاجتماع والتاريخ: إنّ السنن الإلهية الثابتة في التعامل مع الأمم والمجتمعات؛ تعدّ من أبرز مجالات النظر والتفكّر والتأمل، لذا؛ فقد تكرّر ذكرُ هذه السُنن في آيات القرآن الكريم، مع الإرشاد والتوجيه إلى التفكّر فيها والانتفاع بما تقتضيه من عِبَر، مثل: سُنّة النصر والتمكين، وسنّة التغيير، وسنّة الإهلاك والتدمير، وغيرها من سنن الله الثابتة المطردة عند وجود أسبابها. فـ "هذه السنن الربانية ليست عشوائية، وإنّما هي قوانين ثابتة، لا تتخلف في الحالات الاعتيادية، بل إنّ التأكيد على طابع الاطراد في السُنّة هو تأكيد على الطابع العلمي للقانون الاجتماعي، لأنّ أهم ما يميز القانون العلمي عن بقية المعادلات والفروض هو الاطراد والتتابع وعدم التخلف"(٢). {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا} [الأحزاب: ٦٢].

كما نبّه القرآن الكريم، إلى أهميّة التعرف على السنن الإلهية في التاريخ والاجتماع، وتدبّرها والإفادة منها في معرفة أسباب النهوض الحضاري والنصر والتمكين، لأجل تحصيلها. قال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} [النور: ٥٥]. ومعرفة أسباب الانحطاط والتخلف والانهزام والإهلاك. لأجل تجنبها، قال تعالى: {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [آل عمران: ١٣٧].

"لهذا ينبغي معرفة السنن الإلهية، وتدبّرها والتفكّر فيها، لتوظيفها لبناء المجتمع وتربيته وتزكيته، فمن خلال السنن نعي عوامل البقاء التي تحفظ المجتمع من الانحلال. على أنّ هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي والطاعة والمعصية والإيمان والكفر، فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله؛ أصاب خير السنة الربانية، وإذا أهمل الأمر وارتكب النهي وقع في حدود الله"(٣).

المطلب الثالث: دور العقيدة الإسلامية في بناء المقوم الفكري في الشخصيّة المسلمة:

---

(١) جامع البيان، الطبري، ج٢٠، ص ١٤٧.

(٢) السنن التاريخيّة في القرآن الكريم، محمد باقر الصدر، ص ٦٧. بتصرّف.

(٣) كيف نفسر التاريخ، محمد السلمي، ص ٤٥.

أولاً: طبيعة العلاقة بين العقيدة والتفكير: إنّ العلاقة بين العقيدة والتفكير، علاقة بينيّة قائمة على التلازم والتأثّر والتأثير. فالتفكير لازم لبناء العقيدة وتقريرها، وذلك بواسطة النظر في ما ورد من حقائق عقديّة في الآيات التنزيلية ومقارنتها في ما بثّ الله تعالى في الآيات الكونية والأنفسية من عجائب قدرته وفائق دقّة صنعته؛ الدالّة على أنّ الله وحده هو منزّل القرآن وخالق الأنفس والأكوان. مما يدفع المتفكّر؛ للاقتناع العقلي والاطمئنان القلبي بجميع الأمور العقديّة الواردة في الوحي المنزّل، والتصديق بها تصديقاً جازماً مطابقاً لواقعها. هذا هو الطريق السليم الذي أرشدَ إليه القرآن الكريم لتقرير مسائل العقيدة الإسلاميّة. قال تعالى: {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}[الإسراء: ١٠٥].

ف "الطريق إلى سيادة الحقّ – في مجال العقيدة – إنَّما يبدأ حسب التوجيه القرآني بالتأمُّل في الواقع المحسوس ضمن المخلوقات الإلهيَّة التي تتجلَّى فيها حكْمة الصَّانع الحكيم العليم، وهو ما أكَّدت عليه جملة كثيرة من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[سورة العنكبوت: ٢٠]. أو بالتأمُّلِ في الواقع المحسوس من آثار الأمم السابقة ورسومها، تلك التي تدلُّ على سوء العاقبة بالنسبة لأولئك الذين رفضوا الحقَّ في عقيدتهم وأقاموها على باطل الشِّرك، وهو ما أكدت عليه جملة أخرى من الآيات، مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٧]"(١).

ومن جانبٍ آخر، فإنّ العقيدة تضبط عملية التفكير، وتحميها من الانزلاق في متاهات الظنون والهوى والأوهام والأساطير. فنهى القرآن الكريم عن اتباع الظنّ والهوى في مسائل الاعتقاد، قال تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}[النجم: ٢٨]. وكذلك فإنّ العقيدة هي التي تبيّن لعمليّة التفكير المجالات الصالحة لعملها، والحدود التي لا ينبغي لها أن تخرج عنها.

ثانياً: أهميّة العقيدة الإسلاميّة في بناء المقوّم الفكري في الشخصية المسلمة: إنّ منهج القرآن الكريم في بناء وتنمية المقوم الفكري (العقليّة) في الشخصيّة المسلمة، يعتمد بالدرجة الأولى على إعطاء فكرة كليّة شاملة وصحيحة عن **الوجود** (الكون والحياة والإنسان)، **والموجِد** ﷻ، وعلاقة الوجود بالموجِد.

ومن المسلّم به، أنّ العقيدة الإسلامية أعطت إجابات صحيحة ومقنعة عن كلّ ما يتعلّق بالوجود والموجد والعلاقة بينهما، يتمثل ذلك بالحقائق الرئيسية لأركان الإيمان في الإسلام وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى. وما تفرّع عن هذه الأركان من

---

(١) دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية ، عبدالمجيد النجار.

حقائق إيمانية تضمّنت الأجوبة الصادقة – المقنعة للعقل والموافقة للفطرة والمدعّمة بالحجج والبراهين – عن جميع الأسئلة التي تُشكّل العقدة الفكريّة الكبرى لدى الإنسان، نحو: من خلقني، ومن أيّ شيءٍ خُلقت، وكيف؟ ولماذا خُلقت، وإلى أين المصير؟ ومن خلق الكون ولماذا؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الفكريّة التي تجول في ذهن الإنسان. "فمن يتدبَّر آيَ القرآن الكريم؛ يستطيع أنْ يتبيَّن أنَّه قد تضمَّن منهجًا واضحًا للبرْهنة العقلية على أمَّهات مسائل العقيدة، وتلك حقيقة يؤكِّدها جمهور علماء المسلمين"(١).

وعليه؛ فإنّ العقيدة الإسلاميّة؛ تُعدّ الركن الأساس في بناء شخصيّة المسلم، لأنها تُشكّل القاعدة الفكرّية التي يبني عليها تصوراته وأفكاره وتصديقاته عن الوجود والموجِد وطبيعة العلاقة بينهما، وبالعقيدة الإسلاميّة كذلك؛ يُكوِّن مفاهيمه عن الأشياء، تلك المفاهيم التي تتحكم بمشاعره وتنظم سلوكه.

ثالثاً: أثر تدبّر القرآن في بناء أركان الإيمان: من خلال تدبّر الآيات القرآنية الواردة في تقرير العقائد الإيمانيّة وإثباتها؛ يتبيّن أنّ منهج القرآن الكريم في هذا الجانب؛ قائم على توجيه الإنسان إلى التفكّر بعجائب مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الواقعة تحت إدراك الحسّ، بادئاً بأبسطها وأقربها بالنسبة لبيئة الإنسان ومحيطه. فتجده مثلاً، أول ما يوجه ساكن الصحراء التي تحيطها الجبال وتكثر فيها الإبل، إلى النظر والتفكّر في عظمة هذه الأمور وإتقان خلقها، بادئاً بأقرب الأشياء لإنسان تلك البيئة وهي الإبل، قال تعالى: {أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ* وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ* وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ* فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ}[الغاشية: ١٧ – ٢١].

والإنسان العربي بذكائه وصفاء قريحته؛ أدرك هذه الخاصيّة في سهولة تلقي حقائق العقيدة الإسلامية، فكان يسارع في الإيمان بها والتدليل على حقيّتها. يُفهم هذا من قول ذلك العربي في معرض حديثه حول إثبات أنّ الكون مخلوق لله تعالى: "البعرة تدل على البعير، وأثر الأقدام على المسير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحر ذات أمواج، لا تدل على اللطيف الخبير"(٢).

ولطلب الاختصار، سنكتفي بذكر مثال تطبيقي واحد، لبيان أثر تدبّر القرآن الكريم في بعض المسائل المتعلقة بالإيمان بالله تعالى، خاصّةً ما يتعلّق بإثبات صفة (الخالق) لله تعالى. فمثلاً إذا تلا الإنسانُ أو سمع قول الله تعالى: {أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون* أم خَلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون}[الطور: ٣٤-٣٦]. ثمّ أمعنَ النظر، وردّد الفكرّ، في معاني هذه الآيات ودلالاتها القاطعة على أنّ الله تعالى هو خالقُ كلّ شيء، وأنّ كلّ نظريّة أو عقيدة أو فكرٍ لا يقرُّ بهذه الحقيقة الدامغة فهو باطل. قالَ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ

---

(١) السيد رزق الحجر، مسائل العقيدة ودلالتها بين البرهنة القرآنيَّة والاستدلال الكلامي، ص ٧٣.

(٢) المواقف، الإيجي، ج١، ص ١٥١.

هُمُ الْخَالِقُونَ* أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ* أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ}[الطور: ٣٥ - ٣٧]كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ"(١).

قال ابن تيميّة:"هذا تقسيم حاصر، يقول: أخُلقوا من غير خالق خلقهم؟ فهذا ممتنع في بدائه العقول، أم هم خَلقوا أنفسهم؟ فهذا أشدّ امتناعاً، فعُلم أنّ لهم خالقاً خلقهم، وهو الله سبحانه، وإنّما ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليتبين أنّ هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في النفوس، لا يمكن إنكارها، فلا يمكن لصحيح الفطرة أن يدّعي وجود حادث بدون محدث أحدثه، ولا يمكنه أن يقول: هو أحدث نفسه"(٢).

وهكذا في جميع أركان الإيمان، وكذلك ما يتعلّق بمنهج التعامل مع الغيب وحقيقة البعث، وغير ذلك من الأمور العقدية. فـ "ما من قضيَّة عقَديَّة ساقها القرآنُ الكريم إلاَّ قرَنَها بدليل صِدْقها وبرهان يقينها القَطعي في دلالته، فيجب على كلِّ باحث ألاَّ يغفل عن التَّنبيه إلى ما يحتويه النصُّ القرآني من برهان عقْلي يتَّصل بالموضوع الذي يتحدَّث عنه"(٣).

وفي ختام هذا المبحث نستطيع القول؛ بأنّ القرآن الكريم تضمّن منهجيّةً فريدة في ما يتعلّق ببناء الجانب الفكري والعقدي في الشخصية الإسلاميّة، بدءاً بجعل التفكير المستنير؛ طريقاً موصلاً للقناعة العقليّة بحقائق الإيمان، مروراً بالارتقاء بطرق التفكير وأنماطه، وانتهاءً بضبط مجالاته وحدوده.

وفي هذه الأيام التي يواجه فيها المسلمون أشدّ الهجمات الفكريّة الخارجية المنحرفة، هم بأمسِّ الحاجة إلى النظر في آيات القرآن الكريم المتعلقة بشتى مجالات النظر والتفكير؛ وتدبّرها والتفكّر في مدلولاتها ومقاصدها، لتحصين منظومتهم الفكريّة من الجمود والانغلاق والتقليد، والارتقاء بطرق تفكيرهم إلى المستوى الذي يؤهلهم لصناعة الشخصيّة المسلمة الفاعلة في جميع ميادين الحضارة والتمدّن، ليستحقوا تبوء المكانة التي أراد الله لهم في قيادة البشرية ودلالتها على الخير، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]. وليتحقّق بهم ولهم، الشهود الحضاري الذي أراد الله لهم أن يبلغوه: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}[البقرة: ١٤٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الطور. حديث رقم: ٤٨٥٤.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٩، ص٢١٢.

(٣) تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، محمد السيد الجليند.

المبحث الثالث

أثر تدبّر القرآن الكريم في بناء المقوّم السلوكي في الشخصية المسلمة

بعد أن تطرّقنا في المبحث السابق؛ لأثر تدبّر القرآن الكريم في بناء المقوّم الفكري في الشخصيّة المسلمة؛ سنتناول في هذا المبحث – بإذن الله تعالى – أثر تدبّر القرآن الكريم في بناء المقوّم السلوكي في الشخصيّة المسلمة. وذلك من خلال المنظور القرآني لـ: مفهوم السلوك وتفسيره، ودوافعه وغاياته، وتنظيمه وضوابطه، وذلك في حدود ما يتسع له مجال البحث.

مدخل: وقبل الولوج في تفصيلات هذا المبحث، تجدر الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم بنى وضبط المقوّم السلوكي (العمل) لدى الشخصيّة المسلمة؛ بمجموعة الأحكام الشرعية الناظمة لعلاقات الإنسان الرئيسية الثلاث (مع ربه، ومع نفسه، ومع غيره)، حيث جاءت تلك الأحكام، إمّا على شكل قواعد وضوابط كليّة، تندرج تحتها أحكامٌ لجزئياتٍ سلوكيّة كثيرة، نحو قاعدة: (لا ضرر ولا ضرار)، وقاعدة (درء المفاسد أولى من جلب المصالح). وإمّا على شكل أحكام جزئيّة تفصيليّة، نحو: قوله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ}[الأنعام: ١٥٢]. والتي قنّن الفقهاء بموجبها مجموعة النُظُم الإسلامية، التي تعالج كافة شؤون الإنسان وتنظِّم علاقاته، وهي: (نظام العبادات، ونظام الحكم، والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي، ونظام الإعلام والتعليم، ونظام العقوبات).

والمتدبّر للآيات القرآنيّة المتعلقة بالتأصيل والتقعيد لهذه القواعد والأحكام الناظمة للسلوك؛ سيرى مدى حقيّتها ونجاعتها وكمالها في تنظيم علاقات الإنسان وتدبير شؤونه، وتفوقها على الأنظمة الوضعية في هذا الجانب، ممّا يدفَعه – وعن رغبة ورضا - لتطبيق تلك الأحكام، وضبط سلوكه بموجبها.

المطلب الأول: تفسير السلوك من حيث (المفهوم والدوافع):

أولاً: **مفهوم السلوك لغةً واصطلاحاً**: **السلوك لغةً**: مصدر سَلَكَ، وهو يتضمّن معنى: الدخول، والنفوذ في الشيء، والاستقامة. فـ"السين واللام والكاف: أصلٌ يدلُّ على نفوذ شيءٍ في شيء. يُقال سلَكتُ الطَّريقَ أَسلُكُه. وسَلكتُ الشيء في الشيء: أنفذْته. والسُّلْكَى: الأَمْر المستَقيم. وسلكتُ الخيطَ في المخيط، أي أدخلته فيه"(١). "ويطلق السلوك على سيرة الإنسان ومذهبه واتجاه"(١).

---

(١) يُنظر: كتاب العين، الفراهيدي، مادة: سلك. ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: سلك. ولسان العرب، ابن منظور، مادة: سلك.

السلوك في الاصطلاح: السلوك الإنساني من وجهة نظر علم النفس الحديث: يشمل كلّ ما يصدر عن الإنسان من نشاط قولي أو فعلي. وقد عرّف العلماء السلوك بأكثر من تعريف، وطلباً للاختصار فإنّي أختار ما أراهُ أقربها انطباقاً على واقع السلوك، وهو تعريف تقي الدين النبهاني، حيث يرى أنّ السلوك هو: "أعمال الإنسان التي يقوم بها لإشباع جوعات غرائزه أو حاجاته العضوية"(٢).

ثانياً: **السلوك في القرآن الكريم:** ذكرنا في المبحث الأول من هذه الدراسة، أنّ المقوم السلوكي في الشخصيّة المسلمة؛ هو تعبيرٌ اصطلاحي عن (العمل)، أي الجوانب التي تشكّل النفسيّة ابتداء من (جوعات الحاجات والغرائز، فالميول، فالسلوك للإشباع). ولهذا نستطيع القول بأنّ مصطلح (العمل) بشكل مطلق في القرآن الكريم؛ يقابل (السلوك) في علم النفس الحديث. وأنّ (العمل الصالح) يقابل السلوك المرغوب فيه، وأنّ (العمل غير الصالح) يقابل السلوك غير المرغوب فيه. وقد جعل الله تعالى السلوك مناط العقاب والثواب، قال تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[الزلزلة: ٧-٨].

فالسلوك إذن؛ هو الجانب الأهم في تكوين النفسيّة، و"القرآن الكريم يشير إلى أنّ النفس مستودع الكثير من الدوافع السلوكية، وأنّ الإنسان مسؤولٌ عن جميع سلوكه، قال تعالى: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ}[النحل: ١١١]. أي بما كسبت من أعمال إذ هي المسؤولة، فهي لا غيرها التي تجادل عما عملت، وقال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}[المدثر: ٣٨]. فالنفس تكسب عملها بمحض حريتها واختيارها وإرادتها، فهي رهينةُ عملها الذي سيحاسبها به الله ﷻ"(٣).

ثالثاً: **دوافع السلوك:** من المعلوم بداهةً أنّ الإنسان لا يقوم بنشاط ما إلا إذا كان هناك شيء يدفعه لذلك. لذا؛ فإنّ "الدوافع (Motives)، كما يسميها علم النفس الحديث؛ تعدّ من محددات الشخصيّة الإنسانية في الغالب، وهي عبارة عن طاقات نفسية كامنة في الكائن الحي، تدفعه لسلوك قصدي مُعيّن، سواء مع نفسه أو في حياته اليومية ومع عالمه الخارجي"(٤).

ويرى بعض الباحثين أنّ الدافع عبارة عن "طاقة داخل الكائن الحي إنساناً أم حيواناً، تدفعه إلى القيام بسلوك معين أو نشاط معين تحقيقاً لهدف معين، هو إشباع هذا الدافع، كدافع الجوع الذي يدفع

---

(١) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة: سلك.

(٢) الشخصية الإسلامية، تقي الدين النبهاني، ج١، ص ٥.

(٣) النفس الإنسانية في ميزان القرآن الكريم والكتاب المقدّس، عابد توفيق زين العابدين، ص ٩٤-٩٥.

(٤) الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، محمد يوسف العاني، ص ١٣٤.

الكائن الحي إلى البحث عن الطعام"(١). إنّ الإنسان – باعتباره كائنا حيّا – لديه طاقة حيوية، وهذه الطاقة تظهر في الكائن الحيّ إمّا بمؤثرات داخلية وهي الحاجات العضوية، مثل الحاجة إلى الأكل والشرب، والنوم، والأمن، والتطبيب، وغيرها. وإمّا أن تظهر هذه الطاقة بمؤثرات خارجية، وتسمّى **الغرائز**(٢). وينتج عن هذه الحاجات والغرائز جوعات تدفع الإنسان لأن يسلك سلوكاً ما لإشباعها.

الغرائز والحاجات كدوافع للسلوك من منظور قرآني: أقرّ القرآن الكريم بوجود الغرائز والحاجات العضويّة لدى الإنسان، ووجهه إلى إشباعها بالطرق المشروعة. أمّا بالنسبة للحاجات العضويّة التي يتوقف بقاء الحياة عليها؛ فقد جعلها القرآن من المقاصد الضروريّة والحقوق الواجبة للإنسان، فإن لم يستطع سدّها من كسبه هو؛ أوجب له النفقة على وليّه. ولأهميّة هذا الجانب؛ فقد تكفّل المولى ﷻ لآدم وزوجه بما يسدّ الحاجة إلى الطعام والشراب والملبس والمسكن، قال تعالى: {إِنَّ لَكَ أَلا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى* وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى}[طه: ١١٨، ١١٩]. فبنصّ هذه الآية "ضمن له استمرار الطعام والشراب، والكسوة، والماء، وعدم التعب والنصب"(٣). وكذلك إذا تدبّرنا قوله تعالى: {فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ* الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}[قريش: ٣، ٤]. نجد أنّها أشارت إلى حاجتين رئيستين من حاجات الإنسان العضوية، وهما: حاجته إلى الطعام، وحاجته إلى الأمن، وأفاد مجيئهما بصيغة الماضي (أطعمَ، وآمنَ) إلى ضرورة إشباعهما وحتميّته، وكأنّه تحصيل حاصل. وكذلك فإنّ النبي ﷺ أكّد هاتين الحاجتين وزاد عليهما الحاجة إلى الصحة والتطبيب، فقال: "من أصبح منكم آمناً في سربه، معافىً في جسده، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت له الدنيا"(٤).

---

(١) أصول علم النفس الحديث، فرج عبدالقادر طه، ص٣٢٥.

(٢) لدى الإنسان ثلاثة غرائز أساسية هي: غريزة حب البقاء، وغريزة حفظ النوع، وهما موجودتان عند الإنسان والحيوان، وأما الغريزة الثالثة وهي غريزة التدين فموجودة عند الإنسان فقط. ولكلّ غريزة مظاهر متعددة. فمن مظاهر **غريزة حب البقاء**: الخوف، حب السيادة، حب التملك، حبّ الوطن. ومن مظاهر **غريزة حفظ النوع**: الأمومة والأبوة، الصداقة، الميل الجنسي. أمّا **غريزة التدين** فإنّها خاصة بالإنسان؛ لأنّها تدعو إلى التفكير، ويثيرها التفكير بآيات الله وبديع صنعه في السموات والأرض والأنفس. ومن مظاهر غريزة التديّن: الاحترام، والتعظيم، والتقديس، والعبادة، والشعور بالنقص والاحتياج. وهناك فرقان رئيسان بين الغريزة والحاجة العضوية نجملها بالآتي: **أولاً**: إنّ عدم إشباع الحاجة العضوية يؤدي إلى الهلاك، فعدم الأكل مثلاً يؤدي إلى الهلاك. أمّا عدم إشباع الغريزة فلا يؤدي إلى الهلاك، وإنّما ينتج عنه قلق واضطراب وعدم توازن في الحياة. كما هو كائن عند الزوجين = اللذين لم ينجبا أطفالاً بسبب عقم أحدهما أو كليهما. **ثانياً**: مثير الحاجة العضوية داخلي، أمّا الغريزة فتأتي إثارتها من عوامل خارجية.

(٣) تفسير السعدي، عبدالرحمن السعدي، ص ٥١٤.

(٤) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب: الزهد، باب: الكفاف والصبر، حديث رقم ٢٣٤٦.

أمّا بالنسبة للغرائز، فقد أشارت إليها آياتٌ عديدة، منها قوله تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ}[آل عمران: ١٤]. ومن خلال تدبّر هذه الآية؛ نجد أنّها تشير إلى ما جبُل عليه الإنسان من الميل إلى إشباع جوعات الغرائز، فالميل إلى النساء وحبّ البنين؛ من مظاهر غريزة الحفاظ على النوع. والميل إلى تملك الذهب والفضّة والأنعام والحرث؛ من مظاهر غريزة حبّ البقاء. أمّا قوله تعالى: {وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ}[الحج: ٣٢]، وقوله: {وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ}[النمل: ٢٤]. فقد أشارتا إلى الميل لإشباع مظاهر غريزة التديّن، كالعبادة والتعظيم والتقديس.

ومما سبق نستنتج؛ أنّ جوعات الغرائز والحاجات معتبرة قرآنياً كدوافع للسلوك الإنساني. والواقع يشهد بذلك، فحاجة الإنسان للطعام مثلاً؛ تدفعه إلى الطهي، وتناول الطعام،...الخ. وحاجته للتطبيب عند المرض؛ تدفعه إلى البحث عن الطبيب والعلاج. وجوعة غريزة التدين تدفعه إلى البحث عن معبود ليعظّمه ويعبده، وهكذا.

المطلب الثاني: أثر تدبّر القرآن الكريم في ضبط السلوك وتنظيمه:

إنّ الجانب السلوكي يعدّ الركن الأهم في تكوين النفسيّة المسلمة، لذا؛ فإنّ القرآن الكريم جعل النفسيّة معياراً لقياس درجة انضباط الشخصيّة ومقدرتها على التغيير، قال تعالى: **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**[الأنفال:٥٣]. ولهذه الأهميّة العظيمة للسلوك في حياة الإنسان؛ فإنّ القرآن الكريم وضع مجموعة من الضوابط والمحددات، التي تجعل سلوك المسلم — في حال مراعاتها والتقيد بأحكامها — سلوكاً راقياً منظماً، بعيداً عن الانحراف والتطرّف، مُرضياً لله ﷻ. ومن خلال التدبّر لبعض الآيات القرآنية؛ نستطيع أن نجمل أهم القواعد الضابطة للسلوك بالآتي:

أولاً: تحديد الغاية الحقيقية للسلوك: إذا أردنا أن نفسّر الغاية من السلوك بحسب الفهم البشري لدوافع السلوك في نظريات علم النفس الغربي الحديث، سنضطر لوضع حدٍّ لغايات السلوك الإنساني، ينتهي سقف هذا الحدّ عند تحصيل إشباع جوعات الغرائز والحاجات العضويّة فقط. وهذا فهمٌ قاصر.

إنّ غايات السلوك منظور قرآني؛ لا تقف عند حدّ إشباع جوعات الغرائز والحاجات فقط، وإنّما تتعدّى إلى تحقيق مرضاة الله ﷻ. وذلك بتجاوز حدود الحياة الدنيا وربط غاية السلوك الحقيقيّة بالمآل المترتب عليه في الآخرة، {وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}[آل عمران: ١٨٥]. وقد بيّن القرآن الكريم أنّ قَصْرِ غايات السلوك على حدود الحياة الدنيا فقط؛ يُعدّ سبباً للخسران ودخول النار في الآخرة، {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا}[الأحقاف: ٢٠].

ثانياً: تقييد السلوك بمفهوم الحلال والحرام: تبيّن معنا فيما سبق أنّ جوعات الغرائز والحاجات العضويّة تعدّ دوافع معتبرة للسلوك من منظور قرآني، لذا؛ فإنّ الشارع الحكيم أوجب إشباع دوافع السلوك الناتجة عن جوعات الحاجات العضوية، وجعلها من درجة المقاصد الضرورية لتعلقها بالحفاظ على الحياة، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ}[البقرة: ١٧٢]. بل إنّه سبحانه أباح تناول المحظور لسدّ تلك الحاجة بقدر الضرورة، وذلك دَرءاً للوقوع في مفسدة هلاك النفس؛ قال تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ}[البقرة: ١٧٣]. أمّا بالنسبة لإشباع دوافع السلوك الناتجة عن جوعات الغرائز؛ فقد جعله الله مباحاً، لنزوله عن مرتبة الضروري إلى الحاجي.

والجدير بالإشارة هنا، هو أنّ الله تعالى لم يترك طريقة إشباع دوافع السلوك بدون ضبط وتنظيم، وكذلك لم يُسند طريقة ضبطها وتنظيمها إلى الإنسان نفسه، بل أسندها إلى الوحي المعصوم، فجعل الالتزام بطاعة الوحي هو ميزان اعتبار الأعمال شرعاً أو ردّها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ}[محمد: ٣٣]. فالله سبحانه؛ أراد من الإنسان – بخلاف الحيوان – أن يسلك في إشباعه لهذه الجوعات؛ سلوكاً راقياً مُنظّماً يليق بإنسانيته وموافقاً لتكريم الخالق له، {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ}[الإسراء: ٧٠]. فأوجب الله على الإنسان أن يجعل أوامر الشرع في الحلال والحرام؛ مقياساً معيارياً لتصرفاته عند إشباع جوعات الغرائز والحاجات.

فمثلاً أباح الزواج كطريقة لإشباع دافع الميل الجنسي الناتج عن غريزة حفظ النوع، ثمّ ضبطه ونظّمه بالأحكام الشرعيّة، فأوجب الالتزام بالحلال {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}[النساء: ٣]. ونهى عن الإشباع غير المشروع {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا}[الإسراء: ٣٢]. ووجهَ إلى الصبر والتعفّف إلى حين الاستطاعة، لقول النبي ﷺ: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنّه له وجاء"(١). وبهذه الطريقة يتبيّن أنّ القرآن الكريم جعل مفهوم الحلال والحرام؛ معياراً لقياس النشاط السلوكي وضبطه لدى الشخصيّة المسلمة.

أمّا إذا ترك الإنسان لنفسه الحبل على الغارب، ولم يلتزم بمفهوم الحلال والحرام كمقياس لسلوكه، فعندئذٍ لا فرق بينه وبين البهائم التي لا همّ لها سوى إشباع دوافع الغرائز والحاجات فقط، {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ}[محمد: ١٢]. وكذلك فإنّ المتردد في سلوكه بين

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصوم، باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة، حديث رقم ١٩٠٥.

الالتزام وعدمه، ينطبق عليه الوصف النبوي لموقف المنافقين الوارد في قوله ﷺ: "مَثلُ المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة"(١).

ثالثاً: علاج ثغرات السلوك بالتوبة والتعزيز: "لا ينبغي أن نتصور الشخصيّة الإسلامية ملائكية في ديمومة العبادة وبلا أخطاء، فقد تقع ثغرات في سلوكها بتقصير أو غفلة أو خطأ، وكلّ ذلك لا يمسّ الاتصاف بهذه الشخصيّة طالما أنّ صاحبها يتخذُ العقيدة الإسلاميّة أساساً لتفكيره وميله، لأنّ ارتباط مفاهيم الإنسان بالعقيدة ليس ارتباطاً آلياً، بحيث لا يتحرّك المفهوم إلا بحسب العقيدة، بل هو ارتباط اجتماعي فيه قابلية الانفصال وقابلية الرجوع بمعززات الإيمان من التوبة والندم وإدراك الخطأ والرجوع عن المخالفة"(٢).

لذا؛ فإنّ الإسلام مراعاةً للطبيعة الإنسانيّة العامّة المتصفة بالضعف خلقةً، {وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا}[النساء: ٢٨]، ومراعاةً لطبيعة النفس الإنسانيّة المجبولة على الميل إلى الشهوات والمغريات، {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّيَ}[يوسف: ٥٣]. قد عالج مسألة ثغرات السلوك في الشخصية المسلمة بأمرين:

أ. **فتح باب التوبة**: وهذا بابٌ واسع تظهر فيه رحمة الله ورأفته بالعباد، ويشكّل فرصةً ذهبيّة لتعديل السلوك، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ}[التحريم: ٨]. فالتوبة في الإسلام تجبّ ما قبلها، وتنهي مطالبة المذنب بتبعات ذنبه أمام الله تعالى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (التَّائِبُ مِنْ الذَّنْبِ كَمَنْ لا ذَنْبَ لَهُ)(٣). وبهذا يعدّ باب التوبة من أهم المعززات الإيجابية للإقلاع عن السلوك السيئ وتعديله إلى الحسن.

وعليه؛ لا يعتبر العاصي أو الفاسق مرتداً أو خارجاً من دائرة الإيمان. قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}[النساء: ١١٠]. وقال النبي ﷺ: (لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ،)(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب المنافقين، حديث رقم ٢٧٨٤.

(٢) ينظر: الشخصيّة الإسلاميّة، تقي الدين النبهاني، ص ١٦-١٨. بتصرّف.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم ٤٢٥٠.

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه، حديث رقم ٢٤٧٥.

ب. التعزيز السلوكي عن طريق نظرية العقاب والثواب: يُعرّف التعزيز (Reinforcement) على أنّه "الإجراء الذي يؤدي فيه حدوث السلوك إلى توابع إيجابية أو إلى إزالة توابع سلبية، الشيء الذي يترتب عليه زيادة احتمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة"(١).

ولقد اعترف كثيرٌ من التربويين بأهميّة ونجاعة تطبيق نظريّة العقاب والثواب كمعزّز للسلوك وتعديله وضبطه. وقبل هذا الاعتراف بعقود؛ فإنّ الله تعالى في كتابه الحكيم؛ رتّب المدح والثواب على السلوك الصالح الموافق للشريعة، ورتبّ الذمّ والعقاب على السلوك المنحرف المخالف للشريعة. فهناك الكثير من الآيات القرآنية التي أشارت إلى نظرية العقاب والثواب ودورها في ضبط السلوك وتوجيهه نحو خدمة الهدف الحقيقي من وجود الإنسان، ألا وهو عبادة الله تعالى والفوز برضاه. قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[النحل: ٩٧]. وهذا من باب التعزيز الإيجابي للسلوك الموافق للشريعة والتشجيع على استدامته. وبالمقابل هناك تعزيز سلبي يدفع إلى ترك السلوك المخالف للشريعة، قال تعالى: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ}[النساء: ١٤].

المبحث الرابع

كيفية بناء الشخصية المسلمة من خلال الربط بين مقوماتها الفكريّة والسلوكيّة

بالنظر إلى واقع حياة أغلب المسلمين في الوقت الحاضر؛ نجدُ انفصالاً – بنسبة كبيرة – بين الإيمان والعمل، أي بين معطيات المقوّم الفكري المشكّل للعقليّة، ومعطيات المقوّم السلوكي المشكّل للنفسيّة في الشخصيّة المسلمة. لذا؛ فإنّي سأتحدث في هذا المبحث الختامي؛ حول طبيعة العلاقة بين مقوّمات الشخصية المسلمة، الفكريّة والسلوكيّة (الإيمان والعمل)، وبيان المنهج القرآني الذي يجب أن يُتبع في عمليّة الربط بين هذين المقومين لصناعة شخصية إسلاميّة متميّزة، ينضبط فيها السلوك وَفق معطيات الإيمان؟. وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة، لا بدّ من معرفة دور العقيدة في بناء السلوك وتوجيهه.

المطلب الأول: أهميّة العقيدة في بناء المقوّم السلوكي وضبطه:

إنّ التلازم بين السلوك والاعتقاد موجود عند البشر عامّة، فالسلوك الظاهر عند جميع البشر – بخلاف البهائم – مرتبط بما لديهم من إيمان باطن، بغضِّ النظر عن صحة ذلك الإيمان أو بطلانه. وبموجب

---

(١) تعديل السلوك، جمال الخطيب، ص ٨٢.

العقيدة الإيمانية كذلك؛ يجري تحديد غايات وأهداف السلوك الإنساني. يقول ابن تيمية موضحاً هذا التلازم: "إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة، كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان، فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة، بل يلزم من وجود هذا كاملاً وجود هذا كاملاً، كما يلزم من نقص هذا نقص هذا، إذ تقدير إيمانٍ تام في القلب بلا ظاهر من قول وعمل، كتقدير موجب تامّ بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع"(١). فالعمل والإيمان قرينان، لا يصلح كلّ واحدٍ منهما إلا مع صاحبه .

ولأهميّة الربط التكاملي بين الإيمان والعمل في الشخصيّة المسلمة خاصّة يقول عبدالمجيد النجار: "التدين بالإسلام يكون بكيفيتين متلازمتين: أولاهما: الإيمان بحقّانية المنظومة النظرية التي جاء بها البيان الديني في شرحه للوجود القائم على إقرار توحيد الألوهية، وفي إخباره بالرسل الهداة، وإخباره بالحياة الأخرى، التي يتمّ فيها حساب الإنسان وجزاؤه. والإيمان كذلك بحقانية جملة التعاليم، التي بشّر بها الوحي المحمدي، كما جاءت في القرآن الكريم وفي السنة الثابتة. والثانية: التطبيق العملي لما جاء في هدي الدين من الأوامر والنواهي، المتعلقة بالسلوك في معناه الشامل. وإنّ العلاقة بين هاتين الكيفيتين علاقة تلازم... وأيمّا قصور في هذين الوجهين، يعتبر إخلالاً بالتديّن في جانب العقيدة"(٢).

لذا؛ فإنّ الإيمان بفكرة ما، يعنى وجوب التصديق بها تصديقاً جازماً مطابقاً لواقعها، وبهذا تتحول من نظريّة إلى حقيقة تؤثر في السلوك. أي تتحول من مجرد معلومة ذهنيّة؛ إلى مفهوم إيماني مؤثر في العمل. فيُصبح الإيمان بمثابة الآمر الناهي على سلوك الإنسان قال تعالى: {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[البقرة: ٩٣]. فالأفكار إذا بقيت كمعرفة في ذهن الإنسان دون أن تؤثر في سلوكه؛ فهي مجرد معلومات فقط. أمّا إذا انتقلت إلى حيّز التأثير في السلوك، بحيث يتمّ الربط المباشر والتفاعل المؤثّر بينها وبين السلوك، فتصبح موجهاً ومنظماً له، بحيث لا يخالف الإنسان بسلوكه أفكاره؛ عندها تتحول الأفكار إلى مفاهيم ضابطة وموجهة للسلوك. **فالمفهوم**: له شرطان: إيمانٌ ضابطٌ للسلوك. يدلّ عليه قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}[فصلت: ٣٠]. (قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ)= إيمان، (ثُمَّ اسْتَقَامُوا)= سلوك. وهو ما يُعبّر عنه بـ: "مَا وَقَرَ فِي الْقَلْب (إيمان)، وَصَدَّقَهُ الْعَمَل (سلوك)"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧، ص ٥٨٢.

(٢) في فقه التديّن فهماً وتنزيلاً، عبدالمجيد النجار، ج٢، ص ١٢-١٣. بتصرف قليل.

(٣) السيوطي، الدر المنثور، ج٥، ص٣٦. والألفاظ التي بين قوسين؛ إدراج من الباحث للتوضيح.

وعليه، فإنّ العقيدة الإسلامية تشكّل القاعدة الفكريّة التي تمدّ المسلم بتصديقات جازمة عن الحقائق المتعلقة بالوجود والموجِد ﷻ والعلاقة بينهما. وبهذه القاعدة الفكرية اليقينية، يستطيع المسلم تكوين مفاهيم صحيحة يحكم بها على جميع الأشياء والأفعال التي يتعامل معها، وبمجموع تلك المفاهيم تتكوّن عقليّته. ومن جهة ثانية فإنّه يجب عليه أن يضبط وينظم نفسيته (الميول والسلوك) بتلك المفاهيم المستمدّة من العقيدة. وهذا يعني وجوب استحضار المفاهيم المنبثقة عن العقيدة الإسلاميّة لديه؛ قبل قيامه بأي عمل من الأعمال.

المطلب الثاني: مثال توضيحي يبيّن كيفية بناء الشخصية المسلمة باقتران مقوماتها:

إنّ عمليّة بناء الشخصيّة المسلمة المتميّزة، تتمّ وَفقَ خُطوات منهجيّة منظّمة ومتسقة، تسير تلك الخطوات في مسارين متوازيين لا يتخلّف أحدهما عن الآخر. **المسار الأول:** مسار المقوّم الفكري، ويشمل: (مصدر التفكير "الوحي"، الحكم على الواقع "فكر"، وينتهي بالمفاهيم المكوّنة للعقليّة). **المسار الثاني:** مسار المقوّم السلوكي، ويشمل: (الطاقة الحيويّة، دوافع السلوك، الميول، وينتهي بالأعمال). فإذا تكاملت خطوات المسارين المذكورين؛ نتج بالضرورة عن اقترانهما في رأس الهرم: البناء المتكامل للشخصيّة المسلمة المتميّزة. ينظر الصفحة اللاحقة شكل رقم (١).

فمثلاً إذا أراد المسلم التعامل مع واقعٍ ما، ولنفترض أنّ ذلك الواقع هو (الميل لإشباع جوعة أحد مظاهر غريزة حفظ النوع وهي الميل إلى الجنس الآخر). فكيف يتعامل مع هذا الواقع وَفق سلوك مطابقٍ للحالة المعيارية التي تقاس عليها الشخصيّة الإسلاميّة المتميّزة؟.

الجواب: إنّ أول الخطوات التي يجب عليه القيام بها هي النظر إلى مصدر التفكير (الوحي)، فيجد لإشباع هذه الجوعة طريقين: طريق النكاح الشرعي، وهو حلال، لقوله تعالى: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ}[النساء: ٣]. وطريق الزنا، وهو حرام. لقوله تعالى: {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا}[الإسراء: ٣٢]. فيتضح له أنّ (الفكر) الحكم على الواقع المذكور، المستمد من مصدرية القرآن الكريم؛ يقضي بحِلّ إشباع تلك الجوعة بالنكاح الشرعي فقط، ويقضي بحرمة إشباعها عن طريق الزنا.

وهذا الكشف عن حكم حلّ النكاح وحرمة الزنا، لا يتعدّى أكثر من كونه فكرة، أي معلومة يتساوى في الوصول إلى معرفتها جميع النّاس. فإذا أدركَ ذلك الشخص واقعَ حِلّ النكاح وحرمة الزنا وصدّق به تصديقاً جازماً مؤثراً في سلوكه عند الإشباع، عندها تتحول تلك الفكرة إلى مفهوم إيماني مُدركٌ واقعه. وبموجب هذا المفهوم يضبط سلوكَه وينظمه اتجاه ذلك الواقع. ويصبح لديه بواسطة مفهوم الحلال والحرام معياراً ضابطاً للسلوك من حيث الإقدام والإحجام على الفعل. فإذا تيسّر له إشباع ذلك الميل بطريق الحلال

أقدم، وإذا تعذر الحلال أحجم وتعفّف. وبهذه الطريقة الرابطة بين المفاهيم المكوّنة للعقليّة المسلمة وبين الميول والسلوك الناتج عن النفسيّة؛ تتحكّم مفاهيم الحلال والحرام بطريقة إشباع جوعات الغرائز والحاجات، وتُضبط الميول والأهواء النفسيّة وَفق إرادة الله ﷻ. وبهذه الطريقة فقط تتكوّن وتُصنع الشخصيّة المسلمة المتميّزة. ينظر الشكل رقم (١):

هذه هي طريقة بناء وصناعة الشخصيّة المسلمة المتميّزة، تلك الطريقة التي توصلنا إلى تلمّس ورسم خطواتها من خلال تدبّر الآيات القرآنية الكريمة. وهي نفس الطريقة التي كان يسير عليها النبي ﷺ في بنائه لشخصيّات كبار الصحابة ﷺ من السابقين في الإسلام. وهي تصلح لأن تُتخذ معياراً يقيسُ عليها المسلم مدى قربه وبعده من تحقيق صفات الشخصيّة المسلمة المتميزة التي أراد الله له أن يكون عليها، خاصّةً في هذا العصر الذي انحرفت فيه البوصلة الفكريّة والسلوكيّة لدى كثيرٍ من المسلمين عن المنهج الإسلامي القويم؛ فتميّعت شخصياتهم واضطربت، حتى غدا الفكر لديهم منفصلاً عن السلوك، وأصبح الإيمان لا أثر له في العمل.

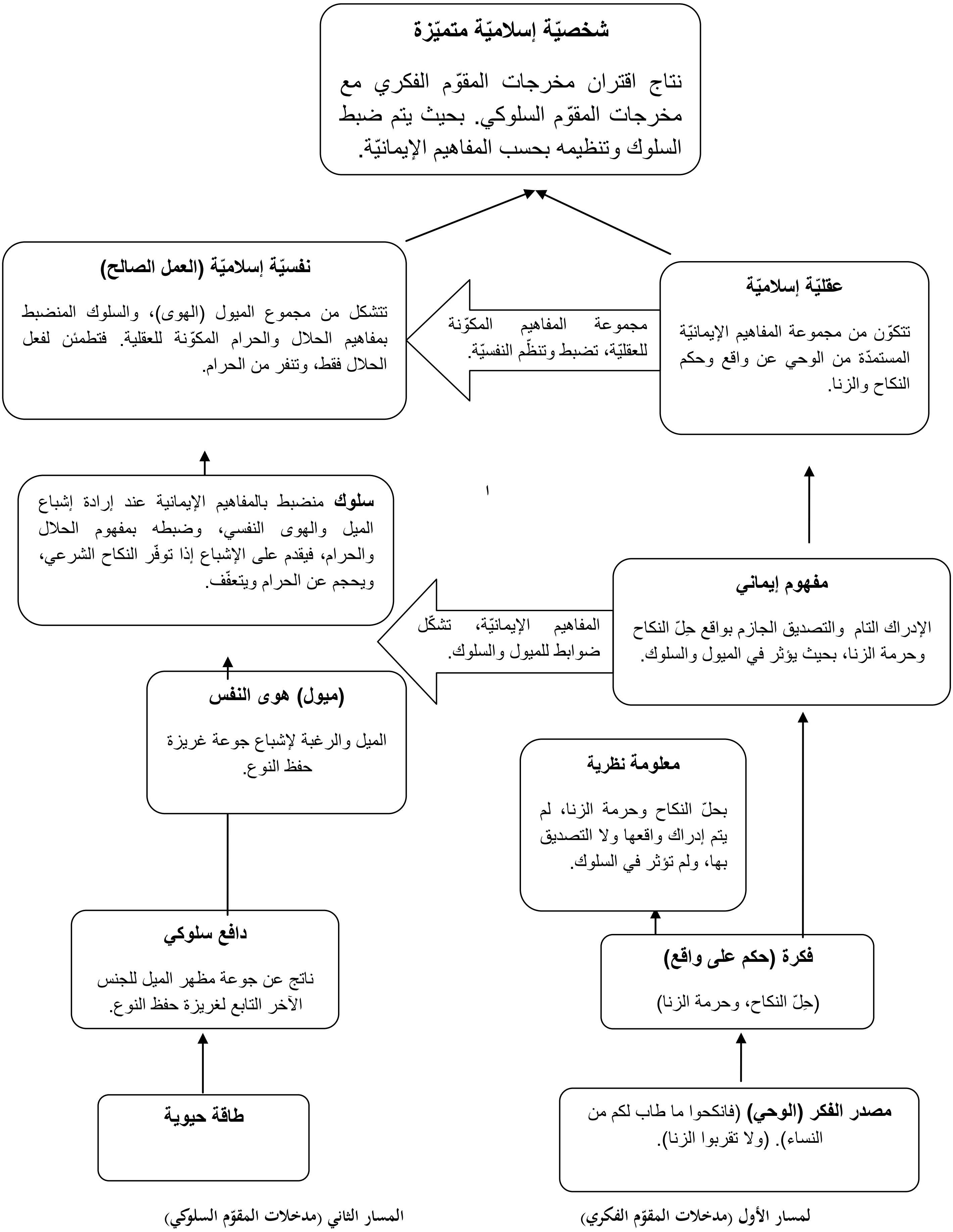

شخصيّة إسلاميّة متميّزة

نتاج اقتران مخرجات المقوّم الفكري مع مخرجات المقوّم السلوكي. بحيث يتم ضبط السلوك وتنظيمه بحسب المفاهيم الإيمانيّة.

عقليّة إسلاميّة

تتكوّن من مجموعة المفاهيم الإيمانيّة المستمدّة من الوحي عن واقع وحكم النكاح والزنا.

مجموعة المفاهيم المكوّنة للعقليّة، تضبط وتنظّم النفسيّة.

نفسيّة إسلاميّة (العمل الصالح)

تتشكل من مجموع الميول (الهوى)، والسلوك المنضبط بمفاهيم الحلال والحرام المكوّنة للعقلية. فتطمئن لفعل الحلال فقط، وتنفر من الحرام.

مفهوم إيماني

الإدراك التام والتصديق الجازم بواقع حِلّ النكاح وحرمة الزنا، بحيث يؤثر في الميول والسلوك.

المفاهيم الإيمانيّة، تشكّل ضوابط للميول والسلوك.

سلوك منضبط بالمفاهيم الإيمانية عند إرادة إشباع الميل والهوى النفسي، وضبطه بمفهوم الحلال والحرام، فيقدم على الإشباع إذا توفّر النكاح الشرعي، ويحجم عن الحرام ويتعفّف.

(ميول) هوى النفس

الميل والرغبة لإشباع جوعة غريزة حفظ النوع.

معلومة نظرية

بحلّ النكاح وحرمة الزنا، لم يتم إدراك واقعها ولا التصديق بها، ولم تؤثر في السلوك.

فكرة (حكم على واقع)

(حِلّ النكاح، وحرمة الزنا)

دافع سلوكي

ناتج عن جوعة مظهر الميل للجنس الآخر التابع لغريزة حفظ النوع.

مصدر الفكر (الوحي) (فانكحوا ما طاب لكم من النساء). (ولا تقربوا الزنا).

طاقة حيوية

لمسار الأول (مدخلات المقوّم الفكري)
المسار الثاني (مدخلات المقوّم السلوكي)

الشكل رقم (١) مخطط بناء الشخصيّة الإسلاميّة المتميّزة

الخاتمة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

في ختام هذه الدراسة، يجمل الباحث أهم النتائج التي توصّل إليها بالآتي:

١. المقصود بتدبّر القرآن الكريم هو (التفكّر العميق والتأمل الشامل في ألفاظ وآيات القرآن الكريم، للوقوف على نهايات ما تحتمله من المعاني، بقصد الفهم والاعتبار والعمل).

٢. حدّد القرآن الكريم مقومات الشخصية المسلمة بعنصرين رئيسين: **الأول: الإيمان**. ويتعلق بالجانب العقدي والفكري الذي يتمّ بموجبه تكوين المفاهيم عن الوجود والموجِد سبحانه وتعالى، والعلاقة بينهما. وبهذا الجانب يتم بناء العقليّة في الشخصيّة المسلمة وتنميتها وضبطها. **الثاني: العمل الصالح**. ويتعلّق بالجانب السلوكي: (دوافع، ميول، أفعال) وكيفية ضبطها بمقتضى الإيمان. وبهذا الجانب يتمّ بناء النفسيّة في الشخصيّة المسلمة.

٣. وضع القرآن الكريم مجموعة قواعد ضابطة ومنظمة لسلوك الشخصيّة المسلمة، أبرزها: تحديد غاية السلوك. تقييد السلوك بمقياس الحلال والحرام. علاج ثغرات السلوك بالتوبة والتعزيز.

٤. إنّ غايات السلوك منظور قرآني؛ لا تقف عند حدّ إشباع جوعات الغرائز والحاجات فقط، وإنّما تتعدّى إلى تحقيق مرضاة الله ﷻ. وذلك بتجاوز حدود الحياة الدنيا وربط غاية السلوك الحقيقيّة بالمآل المترتب عليه في الآخرة

٥. إنّ عمليّة بناء الشخصيّة المسلمة المتميّزة، تتمّ وَفقَ خُطوات منهجيّة منظّمة ومتسقة، تسير وَفق مسارين متوازيين. **المسار الأول**: مسار المقوّم الفكري، ويشمل: (مصدر التفكير "الوحي"، الحكم على الواقع "فكر"، وينتهي بالمفاهيم المكوّنة للعقليّة). **المسار الثاني**: مسار المقوّم السلوكي، ويشمل: (الطاقة الحيويّة، دوافع السلوك، الميول، وينتهي بالأعمال). فإذا تكاملت خطوات المسارين المذكورين؛ نتج بالضرورة عن اقترانهما في رأس الهرم: البناء المتكامل للشخصيّة المسلمة المتميّزة.

٦. لا ينبغي أن نتصور الشخصيّة الإسلامية ملائكية في ديمومة العبادة وبلا أخطاء، فقد تقع ثغرات في سلوكها بتقصير أو غفلة أو خطأ. وقد عالج الإسلام مسألة ثغرات السلوك في الشخصية المسلمة بأمرين: فتح باب التوبة. التعزيز السلوكي عن طريق نظرية العقاب والثواب.

هذا ما وفقني الله إليه، فما كان صواباً فبتوفيقه تعالى، وما جانب الصواب فمن نفسي وأستغفر الله. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المراجع والمصادر

١. إحياء علوم الدين الغزالي، محمد بن محمد الغزالي ت ٥٠٥ه، دار المعرفة، بيروت.
٢. آداب الشافعي ومناقبه، الرازي، عبد الرحمن بن أبي حاتم ت٣٢٧ه، تحقيق د. عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٢٤ه.
٣. أصول علم النفس الحديث، فرج عبدالقادر طه، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م.
٤. اقتضاء العلم العمل، الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ت ٤٦٣ ه، تحقيق: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٧ه.
٥. الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني، أبي بكر بن الطيب ت ٤٠٣ ه، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٢، ١٤٢١ه.
٦. بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادى، محمد بن يعقوب ت ٨١٧ه، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ط٣، ١٤١٦ه.
٧. بناء الشخصيّة في القصة القرآنية، مصطفى عليان، دار البشير، عمّان، ط١، ١٩٩٢م.
٨. البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ت ٤٤٤ه، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط١، ١٤١٤ه.
٩. تأمُّلات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين، محمد السيد الجليند، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٩م.
١٠. تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥ه، دار الهداية.
١١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور ت ١٣٩٣ه، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠ه.
١٢. تحليل الشخصية، محمد خليفة بركات، مكتبة مصر، ط٣.
١٣. تعديل السلوك، جمال الخطيب، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، ط١، ١٩٨٧م.
١٤. التعريفات، علي بن محمد الجرجاني ت ٨١٦ه، تحقيق: محمد مرعشلي، ط٢، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٨ه.
١٥. تعليم التفكير، جروان، فتحي عبد الرحمن، دار الكتاب الجامعي، الإمارات، ١٩٩٩م.
١٦. تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلميّة، بيروت.
١٧. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر ابن كثير ت ٧٧٤ه، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠ه.
١٨. تفسير المنار، محمد رشيد رضا ت ١٣٥٤ه، الهيئة المصرية العامة للكتب، ١٩٩٠م.
١٩. التفكير فريضة إسلامية، العقاد، عباس محمود، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د (ط، ت).
٢٠. التفكير وتنميته في ضوء القرآن الكريم، حنايشة، عبدالوهاب محمد إبراهيم، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٩م.
٢١. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
٢٢. التنظيم المدرسي والتحدي التربوي، السمالوطي، نبيل، دار الشروق، جدّة، ط٢، ١٤٠٦ه.
٢٣. التوراة والإنجيل والقرآن بمقاييس العلم الحديث، موريس بوكاي، ترجمة علي الجوهري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦م.

٢٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر ت ١٣٧٦هـ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٦. الجامع الصحيح من سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى ت ٢٧٩ هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد ت ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وزميله، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

٢٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ.

٢٩. دور الفكر الواقعي في النهضة الإسلامية، النجار، عبدالمجيد، بحوث اللقاء الخامس لمنظَّمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، نيروبي، ١٤٠٢هـ.

٣٠. دور القرآن الكريم في تنمية التفكير المنظومي لدى الإنسان، حوامدة، مصطفى محمود، من أوراق المؤتمر العربي الثالث حول الاتجاه المنظومي في التدريس والتعليم، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢م.

٣١. روح المعاني، محمود بن عبدالله الآلوسي ت ١٢٧٠هـ. تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٣٢. السنن التاريخية في القرآن الكريم، الصدر، محمد باقر، أعاد صياغة عباراته محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، د(ط)، بيروت، ١٩٨٩م.

٣٣. السنّة، ابن أبي عاصم، عمرو بن أبي عاصم الضحاك ت ٢٨٧ هـ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.

٣٤. سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، أبو جادو، صالح محمد علي، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٨م.

٣٥. الشخصيّة الإسلاميّة، النبهاني، تقي الدين، ط٣، ١٩٩١م.

٣٦. الشخصية الإنسانية في التراث الإسلامي، محمد يوسف العاني، دار الفرقان، عمّان، ط١، ١٩٩٨م.

٣٧. صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ، مؤسسة المختار،، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٨. صحيح مسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج ت ٢٤١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث، بيروت.

٣٩. العقائد الإسلاميّة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت.

٤٠. العقيدة الإسلامية وأُسسها، الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، دارالقلم، دمشق، ط٨، ١٤١٨هـ.

٤١. علم التفكير معمار، صلاح صالح، دار ديبونو للطباعة والنشر، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.

٤٢. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، محمد السيد راضي جبريل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، المنورة، ١٤٢١هـ.

٤٣. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد النيسابوري ت بعد ٨٥٠هـ، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٤. الفكر الإسلامي، محمد محمد إسماعيل، دار الوراقة، بيروت.

٤٥. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، القاهرة.

٤٦. في فقه التدين فهماً وتنزيلاً، عبدالمجيد النجار، قطر، د (ط، ت).

٤٧. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزّ وجلّ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٨٩م.

٤٨. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وزميله، مكتبة الهلال.

٤٩. الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٥٠. كيف نفسر التاريخ، السلمي، محمد بن صامل، مجلة البيان، عدد ٥٠، شوال، ١٤١٢هـ، ابريل، ١٩٩٢م.

٥١. لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، علي بن محمد البغدادي، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٥٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.

٥٣. مجموع الفتاوى، ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، ت ٧٢٨هـ، تحقيق: أنور الباز وزميله، دار الوفاء، ط٣، ١٤٢٦هـ.

٥٤. مختار الصحاح، محمد ابن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمد خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٥٥. مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزيّة، تحقيق: محمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م.

٥٦. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، عبيد الله بن محمد ت ١٤١٤هـ، الجامعة السلفية، نارس (الهند)، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٥٧. مسائل العقيدة ودلالتها بين البرهنة القرآنيّة والاستدلال الكلامي، السيد رزق الحجر، دار الثقافة، للتوزيع والنشر، القاهرة، ١٤١٠هـ.

٥٨. مسند أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

٥٩. مُصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ت ٢٣٥هـ، تحقيق: محمد عوامة.

٦٠. معالم أصول الدين، الرازي، محمد بن عمر ت ٦٠٦هـ، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٦١. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار عمران، القاهرة، ط٣، ١٩٨٥م.

٦٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس ت ٣٩٥هـ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م. ط١، ٢٠٠٣م.

٦٣. مفتاح دار السعادة، ابن قيم الجوزيّة، دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد ت ٥٠٢ هـ، المكتبة التوفيقيّة، القاهرة.

٦٥. المواقف، الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٦٦. النفس الإنسانية في ميزان القرآن الكريم والكتاب المقدّس، عابد توفيق زين العابدين، دار التضامن، بيروت، ١٩٩٦م.

المقالات: منهج التفكير العقلي في القرآن، مصطفى حسين عبدالهادي، مقال على النت، ٢٠٠٧م.